العلامة الطالب الساسي سلمان

رجل القرآن والإصلاح

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان

مدير مخبر الدراسات القرآنية

والسنة النبوية

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر.

العلّامة الطالب السلاسي سلمان
رجل القرآن والإصلاح

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان

مدير مخبر الدراسات القرآنية

والسنة النبوية

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر .

عنوان الكتاب

العلّامة الصالح الساسي سلمان
رجل القرآن والإصلاح

تأليف

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان
مدير مخبر الدراسات القرآنية
والسنة النبوية
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر .

تصميم الغلاف
كمال خزان

الطباعة
مطبعة الرمال

ردمك: 978-9931-625-53-7
الإيداع القانوني: السداسي الأول 2019

سنة الطبع: 1440 هـ / 2019 م.

لا يسمح بإعادة طبع هذا الكتاب
إلا بإذن خطي من مؤلفه.

ولاية الوادي / الجزائر
032 14 93 39
0557 97 44 43
imprimerierimel39@gmail.com

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

1 ــ " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ". صحيح البخاري

2 ــ " يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ، وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ. "سنن ابن ماجه .

3 ــ " إنّ للّه أهلين من النّاس، قالوا يا رسول اللّه من هم؟ قال: هم أهل القرآن. أهل اللّه وخاصته . ". صحيح ابن ماجه (179).

4 ــ " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ. ". صحيح البخاري (5027)

5 ــ " إنّ اللّه تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين ". صحيح الجامع(1896)

الإهداء

إلى روح من عاش بيننا سعيدا، والتحق بربّه شهيدا وترك خلفه ذكرا عطرا حميدا، — المجمّع لشمل العائلة الكبيرة، حيّا، وميّتا —، المرحوم بإذن الله تعالى: " توفيق سلمان ": ابن شقيقي عبد المجيد، الذي وافته المنية بالديار التونسية يوم 02 جانفي 2019 م، بعد مقاومة للمرض بصبر وجلد واحتساب، والذي ترك في نفوسنا جروحا غائرة، أعددنا لاندمالها الرضى التام بقضاء الله وقدره، مردّدين: الملاقاة في دار السلام يا توفيق، في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع النبيين. والصدّيقين، والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.

شكر وعرفان

إن اللسان ليعجز عن أداء واجب الشكر والثناء، لأولئك الذين أمدوني بالمادة الخام، لفقرات هذا الكتاب، وسطوره، وهم كثر، نذكر منهم: العلّامة، عمي: سي الطالب أحمد، أحد تلامذة الطالب الساسي النابهين، والبالغ من العمر الآن 107 من السنين، ولوالدتي: الحاجة: عائشة قعري، زوجة الطالب محمد، ابن الطالب الساسي، والتي عايشته أكثر من عشرين عاما.

أمّا الشكر الأكبر الموصول، غير المجذوذ فلشقيقي: عبد المجيد، وعبد الحميد، اللذين أمدّاني بجلّ مادة هذا الكتاب، وذلك، بتسجيلهما الكثير من عناصره، من أفواه طلبة الشيخ الساسي، ومعاصريه، إذ لولا صنيعهما الجبار وحرصهما الشديد، في دعم هذا الكتاب، لما رأت سطوره هذه النور، فجزاهما الله عن برهما لوالدهما الأعلى خير الجزاء، وأجزل لهما المثوبة والعطاء، وأصبغ عليهما من سرابيل ستره، وأغدق عليهما من جميل عطاياه، وحشرهما في زمرة محبي كتاب الله، مع المصطفين الأخيار، والمتقين الأبرار.

تقريظ العلامة الشيخ عبد الكريم بالقط

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ. ". صحيح البخاري.

نسأل الله أن يحقق هذه الخيرية في الطالب الساسي سلمان، الذي يعتبر من معلمي القرآن الكريم الأفذاذ، والمبرزين في تدريسه، فقد شهد له القاصي والداني بذلك. حيث كان رحمه الله تعالى شديدا في تلقينه وتحفيظه لطلبته، وتزداد شدته حدة، مع أبنائه، ورغم هذه الشدة والمهابة كان تلاميذه يوقرونه ويكنون له أسمى آيات الود والاحترام والتقدير.

هذا وقد تخرج على يديه الكثير من الحفظة المتقنين، الذين أطروا مختلف أسلاك الوظيفة العمومية بمدينة الوادي، وغيرها في ربوع هذا الوطن الحبيب.

كما أنه كان صاحب زاد فقهي معتبر، لاسيما في المذهب المالكي، وقد كنت أزوره بين الفينة والأخرى، وأنا طالب يومها بثانويات معاهد التعليم الأصلي والشؤون الدينية، فكان يختبرني في بعض مسائل الميراث، فكنت أجلس، وأكتب المسألة، ثم أحدد نصيب كل وارث، فقال لي: " إن العلماء الأوائل كانوا يقسمون التركة ذهنيا، ولا يحتاجون إلى كتابة، أو بيان، أو تفصيل. "، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تضلعه في علم الفرائض، وعلى قوة حفظه، وسيلان ذهنه.

رحم الله الطالب الساسي، وأسكنه فسيح جنانه، وجعل القرآن مؤنسا له في قبره.

وشفيعا له يوم يقوم الأشهاد، آمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، ومن اقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

وكتبه: الشيخ الجليل: مفتي الديار السوفية
العلّامة الشيخ الأزهري: عبد الكريم بالقط.

تقريظ المقرئ الأستاذ الدكتور: أبو بكر كافي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن سار على هداهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعد: فلقد شرفني أخي العزيز الأستاذ الدكتور المتفنن نصر سلمان- سلمه الله من كل مكروه- بالاطلاع على كتابه الموسوم بـ" العلامة الطالب الساسي سلمان رجل القرآن والإصلاح" فوجدته كتاب ماتعا نافعا ترجم فيه لجده الشيخ العلامة الساسي سلمان، وهو علم من أعلام القرآن، ووعاء من أوعية العلم والفقه، ورجل من رجالات الدعوة والإصلاح، ورمز من رموز الثورة والجهاد في منطقة "وادي سوف" تخرجت على يديه أجيال من حملة كتاب الله، وكان مرجعا لطلاب العلم ينهلون من علمه وفقهه، وموئلا للسائلين والمستفتين يستنيرون بفتاواه وتوجيهاته، والحقيقة أنني كلما قرأت ترجمة من تراجم علماء الجزائر، تيقنت من كثرة علمائنا وقيمة ما قدموا، وأيقنت أيضا عظيم تفريط الأجيال الحاضرة وتقصيرهم في التعريف بهم ونشر مناقبهم، وإحياء تراثهم، ورحم الله الإمام السخاوي إذ يقول" من وَرّخ مؤمنا فكأنما أحياه"، فواجب الخلف تذكر السلف، ونشر مآثرهم، واقتفاء آثارهم والسير على سَنَنِهم، والاهتداء بِسُنَنِهم.

فشكر الله لكم أخي العزيز على كتابكم هذا الذي أحييتم به عَلَما، وعرفتم فيه بعالم بذل علمه وجهده، ووقته وماله خدمة لدينه ووطنه وأمته، معلما ومرشدا وناصحا ومصلحا، ففيه وفي أمثاله أسوة حسنة وقدوة رائعة لأهل القرآن ومعلميه

فجزاه الله خير الجزاء، ورفع منزلته في عليين، وكتب له بكل حرف أقرأه وعلمه درجة، وبكل خير أو معروف بذله أجرا وذخرا ونورا يوم القيامة.

قسنطينة في 20 جمادي 1440ه الموافق 25/ 2/ 2019 م.

وكتبه راجي عفو ربه أد/ أبو بكر بن الطيب كافي

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة

الجامع للقراءات العشر الصغرى والكبرى

تقريظ العالم العامل الفقيه النحرير الأستاذ الدكتور: إبراهيم رحماني

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كانت سعادتي غامرة يصعب وصفها وأنا أتلقى البشرى بإتمام كتاب عن الشيخ الإمام الطالب الساسي سلمان (1300 - 1390هـ)؛ طيّب الله ثراه وأحسن مثواه.

كيف لا أكون سعيداً وموضوع الكتاب يسجّل وقفة وفاء لأحد كبار رجال القرآن الكريم في بلدي؟

كيف لا أكون سعيداً وأنا أتصفّح مآثر الوفاء والبرّ تخرج من الفروع إلى الأصول، فالكاتب حفيد الشيخ وسليل الأسرة السلمانية الكريمة ؟

كيف لا أكون سعيداً ومدبّج صفحات هذا الكتاب فضيلة العلامة أستاذ الأساتذة: الأستاذ الدكتور نصر سلمان حفظه الله تعالى، وبارك فيه وفيمن حوله ؟

لقد طلب مني أستاذي أن أقرأ الكتاب وأكتب كلمة حوله، وإني أجد أن الكلام على الكلام صعب، كما قال التوحيدي؛ لكن لما يطلب الأستاذ من تلميذه أن يكتب شيئًا؛ لا يملك هذا الأخير إلا أن يلتزم الأمر.

وإنني بين يدي أستاذي أجد نفسي متهيبًا أن أكتب، وأشعر بالحرج المشوب بالحياء فمثلي لا يعدو أن يكون إلا مستمعًا وقارئًا ومستفيداً من أستاذه. ومع هذا فقد عوّدنا أستاذنا سلمان بكرم أخلاقه وجميل تواضعه وتشجيعه الدائم على أن نحاول النسج على منواله، ونتشبه بالعلماء أمثاله؛ فوجدتُ أنّ الامتثال أليق بي في

هذا المقام من الاعتذار؛ فأفضال شيخنا علينا وعلى غيرنا من طلاب العلم كبيرة وكبيرة جداً، ووقفات الوفاء لعظماء الرجال في هذا الزمن عزيزة جداً، إلى درجة أن قال أحدهم (ملحون):

دَارْ الْوَفَا فِيهَا الْوَفَا مِتْوَفِّي.: . غِيرْ اِذِرْفِي بِالدَّمْعْ رَاهُو يِكْفِي

والحمد لله تعالى على إنعامه؛ حيث لا ينقطع الخير من هذه الأمة، وإنّنا نشهد بهذا الإصدار الجليل صورة مشرقة للوفاء من الأحفاد للأجداد، لتبقى وثيقة تاريخية تتناقلها الأجيال لتنتفع بها، وتنسج على منوالها في خدمة دينها وأمتها وأداء رسالتها في مختلف الظروف والأحوال.

لقد تبين لي بعدما قرأت الكتاب أنّ الشيخ الساسي سلمان كان نادرة عصره لم يكن ممن يعشقون البريق الخادع، ولكنه كان مجاهداً عملياً، آوى إلى الركن الوثيق، وكان ولاؤه ووفاؤه متوجهاً إلى خدمة كتاب الله الخالد، عاش بمعيته وجاهد في سبيل نشره وتعليمه إلى آخر أيام عمره المديد، محتسباً في كل ذلك لربّه، ناصحاً لدينه وللمؤمنين.

كانت فترة حياة المترجم له عصيبة في تاريخ هذا الوطن العزيز؛ حيث إنّ الضرّ لم يستثن جانباً من جوانب الحياة إلا وترك فيه آثاراً بليغة، ومآسٍ يندى لها الجبين. إلى درجة أن تسرّب اليأس إلى نفوس كثير من الناس، حيث الأوهام تكاد تذهب بالحقائق، والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تسير بالخلائق إلى الوراء. لكنّ أهل القرآن لهم رؤية أخرى، تستنير بنور الله، وتتمسك بحبله المتين، ولا يعرف

اليأس إليها سبيلا؛ اهتدوا بهداية السماء واستمسكوا بالعروة الوثقى، فكوّنوا أجيالا من الرجال، وفق ما تقتضيه الرجولة الحقة، وتمكنوا بعون الله تعالى من استرجاع استقلال الجزائر، وتأديب الغزاة وإرغامهم على الخروج جارّين وراءهم أذيال الخيبة والهزيمة.

لقد صوّر لنا أستاذنا بهذا النموذج "الشيخ الساسي سلمان" دور القرآن الكريم في صياغة الأفراد الرواد، والمجتمعات القوية المتماسكة؛ كما نبّهنا إلى أن هذه البلدة الطيبة "وادي سوف" فيها الخير الكثير، وقد لا يتفطّن لخيرها إلا من جرّب العيش في غيرها؛ وغفر الله لكثير من المشتغلين بقضايا الفكر والتاريخ والأدب حيث نسجّل إهمالا كبيراً لحقوق الراحلين، وكأنهم لم يكونوا أعلام المجتمع ورواده، وهو إهمال مؤلم مشين، لا يرجع إلى الجهل وحده، قدر ما يرجع إلى الجحود والأنانية والدوران حول الذات، وكلّها أمراض خفية - عافانا الله وإياكم أشدّ فتكاً بأصحابها من الأوبئة المستعصية.

ولئن فاتني أن أتتبع جزئيات المادة التاريخية والحمولة المعرفية في هذا المصنّف، فما فاتني أن أعبر عن إعجابي العميق بأسلوب أستاذنا وهو يتحدّث عن جدّه مسترسلا هادئاً ينساب كلامه إلى العقل والقلب انسياباً بديعاً، حتى إنني لم بدأت القراءة لم أتوقف إلا عند الخاتمة، وقد سلك به مسلكاً رائعاً، ووظّف فيه لغة راقية راققة، يزاوج فيها بين المعلومة التاريخية والرسالة الإصلاحية. تحس بأن الكلام نابعٌ من أعماق عفو البديهة وصفائها، وموشحٌ بزينة التؤدة وبهائها فخلص

بحمد الله تعالى إلى مضامين الرسالة ووفائها.

لقد رحل الشيخ الساسي سلمان منذ ما يقارب الخمسين سنة، لكن بقيت آثاره تتحدث عنه حديثاً لا ينقطع، خصوصاً بين أهله وذويه، وتلاميذه ومحبيه وأصبحت "وادي سوف" اليوم قبلة للتعليم القرآني.

جزى الله أستاذنا أ. د. **نصر سلمان** خير الجزاء إذ أتاح لنا فرصة الاطلاع على جوانب من شخصية أحد كبار أعلام بلدنا، وتكرم علينا بتقديم هذه الكليمات بين يدي مصنَّفه، كما نسأله سبحانه أن يبارك هذا المجهود الطيب، ويجعله في ميزان حسنات كاتبه صدقة جارية تنتفع بها الأجيال.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه: الأستاذ الدكتور: إبراهيم بن محمد الأمين رحماني

مدير معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي

الجمعة: 24 جمادى الثاني 1440هـ

الموافق: 01 مارس 2019م

تقريظ المقرئ والمحكم الدولي الأستاذ الدكتور: كمال قدة

المحمود الله وحده، والمصلى عليه محمد وصحبه، اللهم صَل عليه وعلى آل بيته الأطهار، ما طلع ليل بعد نهار

وبعد: فقد شرفني ورفع من مقامي شيخي وأستاذي ومعلمي البروفيسور: نصر سلمان نصره الله وسلمه من كل سوء ، بأن عرض علي كتابه الأخير الذي خطه بحبره الأثيل، حول مآثر وجهود جده الكريم، سيدي الطالب الساسي سلمان في خدمة القرآن العظيم قراءة وإقراء؛ فضلا عما قدّمه هذا الرجل الكريم لدينه ووطنه، حيث وأنا أقرا هذا السفر المبارك وجدت نفسي أمام قامة من قامات الجزائر، التي رحلت عنا وما أخذت حقها من أهلها لكن البر والإحسان وجد طريقه من خلال قلم حفيده البروفيسور: نصر سلمان، والذي كشف هذا الأخير عن مآثر الرجل وأماط اللثام عن كثير من نفيس أعماله الجليلة التي أذن الله لها بالظهور، لتكون عونا للدارسين، وخطة للعاملين في حقلي القرآن والدين، وها هو البروفيسور يحدثنا عن حياة هذا الرجل بين قومه وأهله، وطلابه، ورحلته في التعليم القرآني: فقلت في نفسي من أي معدن خلق هذا البطل، إنك إن جئت تقسم أعماله الجمة على ساعات النهار أصبت بالدهشة، ووقفت حائرا كيف استطاع هذا الرجل التوفيق بين حقه، وحق أهله، وأولاده، وجيرانه ومسجده، وعمله ووطنه، و... ، لتدرك بعد ذلك أنك أمام رجل مد الله له في الزمان، وبارك له في المكان، إذ يعيش يومه على عين الله ...

إن حديث سيدي البروفيسور نصر عن طريقته في التعليم، وتشدده فيه، ذكرتني بأيام الصبا، وقراءتي على مشايخي باللوح والقلم والدواة، لقد كان مولانا الشيخ الساسي سلمان أمطره الله بشآبيب الرحمة والغفران يمثل يوميات المعلم الجزائري للقران الكريم، إذ كل ما سمعته وعلمته عن مشايخنا القرّاء جمعها الله في شخص هذا الرجل المبارك، فهو ملتقى كل خير، ومجمع كل فضيلة .

وإني في ختام هذا التقريظ أستسمح سيدي البروفيسور نصر سلمان أن يعرض هذا السفر المبارك على من يشتغل بفن التصوير والإخراج، كي يصوغ من حياة هذا المبارك فلما يبرز واقع معلم القران الكريم، الذي لم يثنه التعليم ومشاقه، رغم الفاقة، وقلة ذات اليد أن يكون مجاهدا مقاوما للاستدمار، وفلاحا مزارعا من الطراز الأول، ومصلحا اجتماعيا بامتياز، وفقيها جهبذا، وأديبا بلا منازع ....

لعل القارئ لما كتبت يجد في ذلك غرابة لكني أصر على التماسي لأن التصوير، وفن الدراما أصبحا رافدين قويين من روافد الدين، وما فلم الرسالة عنا ببعيد، هذا الفلم. الذي قال عنه أحد الدعاة: كلما قسا قلبي، واشتقت للحبيب أفتح قرص فلم الرسالة لأراه من جديد.

وفي ختام هذا التقريظ لست مبالغا إن قلت :إن حفيد سيدي الطالب الساسي قد جسد قول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث... "، وذكر، ولدا صالحا يدعو له، وعلما ينتفع به... أنت سيدي البروفيسور ولده الصالح الذي يدعو له مع إخوانك، وأعمامك، وكتابك حول جدك هو العلم الذي ينتفع به ...

كيف لا وإني أراه زيادة عن تاريخ جدك مرجعاً من مراجع الترجمة للعروش والقبائل، والأنساب، والتعريف بالمنطقة وعادات أهلها...، وفقكم الله لطبعه، ونشره، والأخذ بوصية تصويره.

تلميذكم وامتدادكم: البروفيسور: كمال قدة
الحكم الدولي في المسابقات العالمية للقران الكريم .
ومدير مدرسة العلامة أحمد العبيدي التابعة لجمعية البيان بالوادي
وأستاذ التجويد والقراءات بجامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
كتبه يوم 09 مارس 2019 الدوحة قطر

تقريظ الأستاذة الدكتورة سعاد سطحي

نقد شرفني زوجي الأستاذ الدكتور: نصر سلمان بالاطلاع على كتابه الأخير حول حياة جده الطالب الساسي سلمان، رجل القرآن والإصلاح، فوجدته كتابا ماتعا، يسرد سيرة رجل نذر حياته لخدمة القرآن الكريم وعلومه، وترقية المجتمع وإصلاح شؤونه، ومقاومة الاستدمار وتخييب جميع ظنونه.

وبعد قراءتي المتأنية لهذا السفر المبارك لاحت لي جملة من الاقتراحات أوجزها فيما يأتي:

أولا ــ ضرورة كشف النقاب عن سير أعلامنا النابهين، وإبراز جهودهم المتميزة في خدمة الدين، والعلم، والوطن، عسى أن تتخذها الأجيال الصاعدة نبراسا تهتدي به، وخارطة طريق تسير على نهجها في خضم معترك الحياة، المتلاطمة أمواجه، المرغدة أزباده، المزمجرة عواصفه، والتي لا عاصم منها إلا بالاقتداء بأمثال هؤلاء الجهابذة، واقتفاء آثارهم الحميدة، وسلوك مناهجهم الرشيدة.

ثانيا ــ دعوة أصحاب القرار ممن يشرفون على وزارتي التربية، والشؤون الدينية أن يعيدوا للقرآن الكريم هيبته، ومكانته في واقع الناس المعيش، إقراء وتدريسا، وتعليما في برامجنا المدرسية، وكتاتيبنا المسجدية، وذلك بإشباع المنظومة التربوية، وبرامج المدارس القرآنية، بما يرسخ قيمنا الإسلامية في نفوس جميع شرائحنا الاجتماعية.

ثالثا ــ دعوة الجامعات، ومراكز البحث العلمي، إلى توجيه جهود طلبتها إلى إعداد أطروحاتهم العلمية حول أعمال علماء أوطانهم، وبيان تفوقهم العلمي ومناهجهم، وطرقهم العلمية، خدمة لتاريخ جزائرنا الثقافي، الذي يحتاج منّا إلى هبّة علمية كبرى، من أجل إخراجه في أثواب قشيبة، تجعل من هؤلاء المبحوثين مصادر

للاهتداء، ومحلا للاقتداء، ومكانا رحبا للاعتناء.

وفي الأخير: أشهد الله أنني هالتني تلك الطريقة التي صنف بها البروفيسور: نصر سلمان، هذا الكتاب، إذ أعطاه جلّ وقته، فكان يمكث الساعات الطوال في خط سطوره، وكأنه يسارع الزمن لإخراجه في فترة قصيرة، وكنت أقول له: رفقا بنفسك في إعداده، فكان يقول لي: إن هذا الكتاب مختلف عن جميع كتبي الأخرى وذلك لأنه عربون وفاء من الأحفاد للأجداد، وأهم من ذلك أن فيه إبرازا للتضحيات التي بذلها الأسلاف في خدمة القرآن الكريم، والذين ضحوا بالغالي والنفيس، وفي ظروف استدمارية حالكة من أجل كتاب الله، واللسان العربي المبين، أليس حقيقا بنا، ونحن ننعم بالأمن والآمان، والسلم والسلام، في أن نسابق الأوقات قصد إبراز سيرهم، وتخليد مآثرهم، وتقديمها على طبق من ذهب للأجيال الصاعدة.

وختاما: أسأل الله أن يجمعنا بالطالب الساسي في دار الخلد، مع النبيين والصديقين، والشهداء، وحسن أولئك رفيقا، داعية المولى عز وجل أن يمن كتابه، وييسر حسابه، وأن يجعل القرآن له شفيعا، وفي رمسه مؤنسا، ويوم الفزع مؤمّنا، وفي المحشر ساترا، وعند الحساب مرجحا لكفة حسناته، وما ذلك عليه بعزيز، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأخيار، وصحابته الأبرار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه: الأستاذة الدكتورة: سعاد سطحي أستاذة الفقه الإسلامي
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
ورئيسة اللجنة العلمية لقسم الفقه وأصوله سابقا
وعضوة المجلس العلمي بكلية الشريعة والاقتصاد حاليا

شهادات الأحفاد عن الأجداد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أسعد السعداء رجل أحبه الله وسهل له حفظ كتابه ويسر له فهمه والعمل به وإننا هنا نحسب أن الطالب الساسي سلمان من طينة هؤلاء السعداء، ولا نزكي على الله أحدا، والذي نشعر برهبة كبرى حين نلج باب الحديث عن سيرته العطرة وبآثره العظيمة، اللتين يحوطهما القرآن من كل جانب، لنقول شهادتنا حول هذا الطود الأشم، والجبل الراسي، والتي سنوردها في نقاط مركزة على النحو الآتي:

1 ـ مواظبته على قراءة القرآن دون كلل أو ملل، وقد فاتحه في ذلك بلديه الشيخ عطية خريج الأزهر، طالبا منه أن يشفق على نفسه بإعطائها قسطا من الراحة، فأجابه: يا شيخ عطية لو خامرت شغاف قلبك لذة مراجعة القرآن فإنك لا تستطيع التوقف عن تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، فاعتذر منه الشيخ عطية لما سمع مقولته، وقبل رأسه، وذهب مرددا: ومن يقوى على صنيع الطالب الساسي مع كتاب الله.

2 ـ إسهامه في محو أمية الكثير من مواطنيه الذين لم يسعفهم الحظ لمزاولة الدراسة النظامية.

3 ـ تنوع برامجه التدريسية، حيث شملت التوحيد، والفقه، والتجويد، واللغة العربية والتي كانت تدرس على شكل متون، تكتب في آخر اللوح بعد كتابة ورد القرآن اليومي.

4 ـ تضلعه في علوم اللغة العربية، التي سبر أغوارها، وخبر خفاياها، وتصدى لحل مقفلها.

5 ـ تمكنه من علم الفرائض، الذي كان لشدة غوصه في مسائله، يقسم فرائضه

شغوبا.

6 ـ تمسكه في مجال الفتوى بالمذهب المالكي، الذي لا يحيد عنه إلا في حالات نادرة تقتضيها ضرورة التيسير، ورفع المشقة عن المستفتي.

7 ـ شدة ورعه، ومن ذلك حثه لابنه محمد، الذي كان تاجرا على الاهتمام بالمكاييل والموازين، فكان يوصيه حين وضعه للورق الذي ستلف فيه السلعة في كفة الميزان بأن يضع ما يماثله من الورق في الكفة الأخرى، حتى لا يكون مطففا في الميزان، مخسرا فيه.

هذه نتف من شهادتي حول جدّي رجل القرآن، الذي خامر شغاف قلبه، ولازمه في دنياه قرابة السبعة عقود من الزمان، ليلتحق بعدها بالرفيق الأعلى، سائلين الله عز وجل أن يجعل القرآن له في قبره مؤنسا، وعلى الصراط هاديا، وفي الحشر ساترا، وفي الآخرة شفيعا، وفي الجنة رفيقا وإماما.

لنقول في الأخير: هكذا يمضي العظماء، وتبقى سيرهم العطرة تتضوع مسكا وتفوح أريجا، لتخطها الأجيال من بعدهم بماء الذهب، بل بماء العيون، ولتبقى صنائع معروفهم صدقة جارية، تثقل بها موازين حسناتهم، فعليهم شآبيب الرحمة، وسحائب الغفران، وبشائر القبول، وإلى الملاقاة في دار السلام في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وما ذلك على الله بعزيز، وصلى الله وسلّمَ وباركَ على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله سيد السادات، وعلى آله وصحبه، ومن تبع نهجه، وسلك طريقه، وعمل بسنته في هذه الحياة.

وكتبه السيد: سلمان عبد المجيد

حفيد الطالب الساسي وتلميذه والإطار

السابق في سلك التربية والتعليم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتقضى الحاجات، وتحقق الأمنيات. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، سيد السادات، ومعدن المكرمات، وصاحب الحجج الواضحات، وسبحان منزل الآيات البينات، المحكمات، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: 102. ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: 1.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: 70-71

أمّا بعد: فإن الحديث عن العظماء ليس بالأمر الهين، أو البسيط، وذلك لتشعب مسارب حياتهم، وتنوع عطاءاتهم، مما يجعل من يكتب حولهم يحتاج إلى مزيد صبر في تتبع جزئيات سيرهم الذاتية، والعلمية، والاجتماعية.

أقول: ويزداد الأمر صعوبة إذا كان المترجم له متعدد المواهب، متنوع الكفاءات، كيف لا ؟، وهو الأستاذ، والقاضي الشعبي، والمصلح الاجتماعي.

إنه الطالب الساسي سلمان، الذي جمعت سيرته كل هذه المحامد، وألمعيته كل هذه المحاسن، مما جعلني أستنفر قلمي الخجول، أمام عظمة كتاب الله تعالى، لأخط على استحياء في هذا الطرس المبارك

بعض مآثر هذا العالم الرباني، الذي وهب حياته كلها لكتاب الله تعالى، فوهب الله له ذكرا حميدا، وقديما قيل: والذكر للإنسان عمر ثانٍ.

آقول: إن فكرة هذا الكتاب نبعت من جلسة عائلية، مع شقيقيّ: عبد المجيد وعبد الحميد سلمان، إطاري التربية والتعليم سابقا، إذ تذاكرنا سيرة جدّنا العطرة المضمخة بأريج مسك القرآن الكريم الأذفر، وبدأ حينها التلاوم بيننا، إذ شعرنا بأنه لم يكتب حوله شيء يذكر، وأن كثيرا ممن عايشوه، ودرسوا على يديه قد أفضوا إلى ربهم ، وساروا إلى الدار الآخرة، ممن يعول عليهم في الإدلاء بشهاداتهم التي تعد مادة حقيقية لصفحات هذا الكتاب، فعقدنا العزم على تجسيد مشروع إعداد كتاب حوله، نستقي مادته العلمية من أفواه من بقي حيًا من تلامذته ومعاصريه، وكان الاتفاق على أن أتولى صياغة ما يجمع حوله من مادة خبرية وأن يتولى أخواي جمع المادة البحثية، المكونة لعناصر هذا السفر المبارك، وكانت الأمور بأسرع مما كنت أتوقع، فقد استنفرا كل طاقاتهما، وأمداني بمعلومات غزيرة، في زمن قياسي وجيز، فألزماني الحجة، وأصرّا على الانطلاق في تدبيج فقرات هذا الكتاب، فلم أكن لأجد بدّا من ذلك، فاستجبت لإلحاحهما، رغم كثرة انشغالاتي البحثية، والتدريسية، والإدارية، يشجعني في ذلك نسمات القرآن العظيم، الذي حفل به جدّي الطالب الساسي، ما يقارب الثمانية عقود من الزمان ويدفعني له بر الوالدين، وتذكر تلك اللحظات الجميلة، التي كنت أشعر فيها بدفء حجر جدي، وتلك المعاملة التفضيلية التي كنت أحظى بها عنده، لأني كنت أصغر القوم ، والتي أذكرها الآن

كطيف عابر، وذلك لصغر سني حينها، لا سيما وقد مضى على وفاة جدي نصف قرن من الزمان، كنت يومها لم أتجاوز بعد سن التمييز.

هذا وقد حاولت بعد الاستعانة بالله تعالى، أن أتخير لكتابي هذا أسلوبا سهلا ولغة متداولة، فلم أشأ فيه الإغراب، أو إيراد بعض العبارات الأكاديمة، غير المتداولة، وذلك بهدف تيسير الاستفادة منه لجمهور عريض من أبناء وطننا الحبيب، عساهم يقتدون بصنيع الطالب الساسي في خدمة كتاب الله العزيز، الذي كان صنيعه في تدريسه كالذهب الإبريز.

ومراعاة لتيسير عرض مادته العلمية، حاولنا إيراده في مقدمة، وسيرة ذاتية وأخرى علمية، وثالثة اجتماعية، وخاتمة، سائلين الله العلي القدير، رب العرش العظيم، أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يثقل به موازين حسناتنا يوم القيامة، وأن يسترنا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض عليه، آمين يارب العالمين، وصلى الله على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن اتبع نهجه وخطاه، وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه.

قسنطينة: السبت: 18 جمادى الثانية 1440 ه الموافق لـــ: 23 فيفري 2019م.

السيرة الذاتية
للعلامة الطالب الساسي سلمان

السيرة الذاتية للعلامة الطالب الساسي سلمان

قليل هم أولئك الذين نذروا أنفسهم لخدمة دينهم، وترقية وطنهم، والتضحية بنفيس أوقاتهم، من أجل أن ينعم مواطنوهم بالعلم النافع، والفكر الثاقب، والنَّهَل العلمي المفيد، ودون مبالغة نحسب أن الطالب الساسي سلمان واحد من هؤلاء الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل ترقية البحث العلمي في فترة استدمارية دامسة الظلام، حالكة الأرجاء، فكان فيها ذلكم المصباح المنير، الذي يكاد زيته يضيء، ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يستمدّ إشراقاته من عظمة القرآن الكريم، الذي في صدره، والذي يتلوه آناء الليل، وأطراف النهار، ليستحقّ به ذكرا خالدا، وسمعة طيبة، تدعو من يأتي بعده إلى كشف النقاب عن سيرته العطرة وحياته المليئة بالخير والأمجاد، والتي سنبيّن بعض خفاياها، ونجلّي للأجيال شطرا من زواياها، وذلك من خلال النقاط الآتية:

اسمه ونسبه

هو الساسي بن أحمد بن علي بن سلمان .

مولده

ولد خلال سنة: 1300 ه الموافق سنة: 1882 م، وهي السنة التي دخلت فيها القوات الفرنسية، لمنطقة وادي سوف، بقيادة الجنرال" لاكروا فوبوا"، الذي دعا

سكانها للخضوع، والاستسلام، غير أنه وجدها عصية على جنوده، إذ أعلن أهلها المغاوير، وقاطنوها الصناديد، المقاومة، مما اضطره إلى حط الرحال بقرية الدبيلة، التي تبعد عن مدينة الوادي بحوالي عشرين كيلومترا، ولم يتمكن من السيطرة على مدينة الوادي إلا سنة: 1887 م، أي بعد سبع وخمسين سنة من استدمار الجزائر[1].

نقول: في هذا الجو المخوف، المليء بالفتن، وعدم الاستقرار، فتح الطالب الساسي عينيه على غزو وطنه، وإخضاع مسقط رأسه، ومرابع طفولته، لقوى استدمارية بغيضة، جعلت من الظلم شعارا، ومن اغتصاب ممتلكات الغير دثارا ومن سيادة، الوطن وعزته دمارا

مكان ولادته

ولد الطالب الساسي في قرية الصحن الثاني، التي تبعد عن وسط مدينة الوادي بحوالي 3 كلم، فهو أصيل ولاية الوادي، الواقعة في الجنوب الشرقي من الوطن والتي تسمى بمدينة ألف قبة و قبة، وعاصمة الرمال الذهبية، والواقعة على بعد 630 كلم جنوب شرق العاصمة الجزائرية.

(1) الجيلاني العوامر: هامش كتاب الصروف. 323.

انتماؤه القبلي

ينتمي لقبيلة الأعشاش، التي تنتسب إلى العش بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي، نسبة إلى يربوع، وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة [1]. بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

وقيل: إن قبيلة الأعشاش زيادة عن شجرتها النسبية، فإنها سميت بذلك نسبة لكثرة ذريتها ومواليدها، إذ يطلقون على من اتصف بذلك عشا، تشبيها له بعش الطيور، الذي تجمع فيه أعداد كثيرة من العيدان، والريش [3].

وأولاد سليمان أجداد مترجمنا ينتمون إلى عميرة الجبيرات من عرش الأعشاش، هذه العميرة التي تنتسب إلى جبر بن العش، كما ذهب لذلك الشيخ العدواني، خلافا لابن خلدون الذي نسبهم إلى جابر بن فاتك بن رافع بن ذياب بن مالك بن بهثة بن سليم، وبين أنهم انحدروا من برقة إلى طرابلس، ثم إلى قابس لينتهي بهم المطاف بمدينة الوادي. [4].

---

(1)إبراهيم العوامر: الصروف 379.

(2)المرجع نفسه. 375.

(3)إبراهيم العوامر: الصروف 379.

(4)نفسه. 383 ــ 384.

أسرته

لقد عاش في أسرة متدينة، محبة للعلم، فوالده الحاج أحمد، كان من بين القلائل، الذين أدوا فريضة الحج سيرا على الأقدام، حيث استغرقت رحلته ذهابا وإيابا سنة كاملة، افترش في بعض أيامها الأرض، والتحف السماء، وطوى الجوع بطنه، ورغم ذلك لم يثن هذا كله عزمه عن أداء الركن الخامس من أركان الإسلام وأما أمه، فهي تركية غنابزية التي كانت سليلة أسرة معروفة بالورع والتقوى. فكان نتاج زواجهما المبارك ميلاد الطالب الساسي، هذا المولود الذي لما كبر أطبقت شهرته الآفاق، وذاع صيته بين الفيافي والقفار، والذي كان الذكر الوحيد عند والديه بعد وفاة أخيه: محمد الطيب، إذ كان يعيش بين ثلاث أخوات مباركات هن: مسعودة، وعائشة، وهنية.

في هذا البيت السعيد، المؤسس على تقوى من الله ورضوان نشأ الطالب الساسي وترعرع، وشب، إلى أن بلغ مبلغ الرجال، ليأتي دوره هو في تأسيس أسرة يمكن الحديث عنها في النقاط الآتية:

1 ــ زوجاته: كان الطالب الساسي رجلا مزواجا، مطلاقا في الوقت ذاته، فلقد ارتبط بعدة نسوة، وهن: مسعودة قدوري، وربح مدلل، وهنية العبسي. وبنت بورقعة، وفاطمة دلال.

2 ــ أبناؤه: جل أبنائه الذين وهب الله لهم الحياة كانوا من نسل مسعودة قدوري. وهم: المعمر الشيخ العلامة أحمد سلمان، الذي يبلغ الآن 107 من السنين.

ومحمد، ومصطفى، وبوبكر، وتركية، وبية رحمها الله تعالى.

كما رزق من زوجته هنية بنت العبسي بعبد الرزاق، وبشيرة، وفاطمة، رحمهم الله تعالى.

وأما ربح، فقد رزقه الله منها بستة ذكور، وبنت، كلهم ماتوا صغارا، ولم يشبّ منهم أحد، هذا فضلا عن العديد ممن مات من أولاده أثناء وضعهم، أو سقطوا من بطون أمهاتهم، وهم أجنة قبل اكتمال خلقهم.

3 ـ أحفاده: يتجاوز الآن عدد أحفاده 400 حفيد، منهم الأستاذ الجامعي والمهندس، والطبيب، والصحفي، ومدير الشركة، والإداري، والمقاول، ورجل التربية والتعليم، والفلاح، والتاجر، والإمام، والشاعر، والكاتب، والطالب الجامعي.

4 ـ ارتباطه بجل أسر منطقته: نظرا لروابط المصاهرة، وعلائق الخؤولة ووشائج الجدودة، ارتبط الشيخ الساسي بجل عائلات المنطقة، فأخته مسعودة تزوجت من عائلة غيلاني، وعائشة من عائلة كريم، وهنية من عائلة بوصبيع، كما زوج هو بدوره بنته بية من عائلة بالقط، وبالضبط للمجاهد سي لمين بالقط، الذي يعد من كبار مجاهدي منطقة وادي سوف، والذي حكمت عليه فرنسا بالإعدام ولكن حكم الله بلغ، إذ كتب له الحياة، وعاش إلى أن تملّت عيناه باستقلال وطنه إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة: 1982 م، كما زوج تركية من عائلة بوصبيع وزوج أبناءه أحمد ومحمد من عائلة قعري، ومصطفى وبوبكر من عائلة محسن هذا فضلا عن مئات العائلات التي صاهرها أحفاده، مما يجعلني أقول ما من عائلة ببلدته إلا وله فيها

موطوء قدم من خؤولة، أو جدودة، وقديما قيل في المثل الشعبي: (النساء قرّايات البعايد).

5 ـــ أطفال شهداء من أسرته: لقد بلغت وحشية الاستدمار الفرنسي أوجها حتى بلغ الأمر بمرتزقته إلى أن يصل حد قتل الأطفال، الذين لم يتجاوزوا سن التمييز، انتقاما من ذويهم، ودوسا لكل قوانين حقوق الإنسان، فلقد عايش العلامة الساسي استشهاد ثلاثة من أحفاده من جهة ابنته بية زوجة المجاهد البطل سي لمين بالقط، المحكوم عليه بالإعدام من قبل فرنسا، والذي كانت فرنسا ترسل طغمة جنودها المدججين بالسلاح، بحثا عنه، ولما لم يجدوا له أثرا، يستخرجون كل حنقهم، وأمراضهم النفسية، وعقدهم المرضية، ليصبوا جام غضبهم في أطفال لا ذنب لهم إلا أن والدهم انتفض ضد الظلم، ولم يحن رأسه لجبروت هؤلاء الغاشمين.

اشتهار وهيمنة اسمه الساسي ووصفه بالطالب على لقب العائلة

نظرا لحب الجزائريين للقرآن الكريم وأهله، كانوا يضفون هالة اجتماعية على حامله، ومدرسه، والعامل به، ويطلقون عليه مسمى: " نعم سيدي "، وهي للدلالة على أننا تحت تصرفك، ورهن إشارتك، وطوع أمرك، وهي تعني أنك في أعلى درجات الاحترام عندنا، وذلك توقيرا لكتاب الله الذي في صدرك، كما كانوا يسمون من درس كتاب الله، وأتقن حفظه بالطالب، نسبة لطلب العلم، والغوص في مكنوناته، مما جعل الناس يطلقون على العائلة الكبيرة، عائلة، أولاد الطالب الساسي، بدلا من عائلة سلمان، ولم يكتف الناس بذلك، فراحوا يسمون على اسمه

أبناءهم، متمنين أن يكونوا مثله في حفظه للقرآن، والعمل به، وهنا لا أكتمكم سرا أن هناك أربعة من أبناء أحفاده يسمون باسمه، وهم: الساسي بن عبد المجيد وهو من حفظة كتاب الله، والساسي بن العيد، وهو أحد خريجي الجامعات الجزائرية، والساسي بن مصطفى، وهو أحد إطارات بعض الشركات البترولية العالمية الكبرى، والساسي بن عبد الغني، والطريف في الأمر أنه في بعض الأحيان تختلط رسائلهم التي تفد إليهم، ووثائقهم، التي يلجأ للتمييز بينها بالعودة لاسم الأب، وهذا كله لم يكن الدافع له إلا حب القرآن الكريم، وأهله، والتشبه بهم، ولو في التسمية. وقديما قيل: إن التشبه بالكرام فلاح.

جهاده ضد الاستعمار الفرنسي

لقد كان للكلمة الصادقة، النابعة من عمق كيان الطالب الساسي، والمعبرة عن نار الحرقة المتأججة بداخله ضد الاستدمار الفرنسي وقعها المحمود في مسيرة الدفاع عن الجزائر الحبيبة، وذلك من خلال مجاهرته بعدائه لفرنسا، وغرس ذلك في نفوس طلبته، مما جعل مشاركته في مسيرة تحرير الوطن من نير الاستدمار تأخذ أشكالا متعددة، نوردها في النقاط الآتية:

أولا ــ استشارته للشيخ ابن باديس، حين قدم لمدينة الوادي في شهر ديسمبر سنة 1937 م، بدعوة كريمة من الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الشريف صاحب الزاوية

القادرية بعميش [1]، وذلك بعد التحاقه بصفوف جمعية العلماء المسلمين، حيث سأل العلامة ابن باديس: هل يتفرغ لمواجهة كيد المستدمر الفرنسي وطغيانه، أم يبقى في مدرسته القرآنية يدرس ويؤطر، ويبث الوعي في أوساط طلبته، ومجتمعه ؟. فأجابه الشيخ ابن باديس بالبقاء في مدرسته، وقال له إن التحاقك بالجبال هو التحاق رجل واحد، ولكن صنيعك التوعوي قد ينتج عنه التحاق المئات بالثورة ضد فرنسا.

ثانيا ــ إن هيبته، وخشية فرنسا من ردة فعل مدرسته القرآنية، تجعل منه مصون الجانب، وكم استغل الطالب الساسي هذه الهيبة، ولأدل على ذلك من تخبئته لبعض المجاهدين، الذين غالبا ما كانوا يحتمون بمدرسته العامرة بعد القيام ببعض العمليات الفدائية، بحيث يكونون في حضن دافئ، وحصن منيع، من أن تمتد إليهم يد البطش الفرنسي الآثمة، وطغمة جنده الباغية.

ثالثا ــ لقد كانت مدرسته رافدا مهما من روافد الجهاد ضد الاستدمار الفرنسي. من خلال طلبتها الذين كان يرسل بهم للثورة، كقضاة، من أمثال الشيخ الطالب سي لخضر بالقط، ومسبلين، وفدائيين، وقد سجل تاريخ الكفاح الدامي بأحرف من ذهب، لأسماء كثير ممن سقطوا في ساحات الشرف، ، مضمخين بدمائهم العطرة. ممن تخرجوا من مدرسته، كالشهداء: عبد الرحمن بن عون الذي تُسمَّى باسمه

(1) سميت عميش، نسبة إلى رجل من زناته أعمش العينين مات هناك ويعرف هذا الرجل باسم عميش وكان رجلا جوادا، لا يخلو بيته من الفقراء والمحتاجين، وكانت له مكانة خاصة ومرموقة بين البدو، وقيل: إن رجلا من تهامة اسمه عميش، خرج من مدينة الوادي، واتجه نحو مكان عميش الحالي واستقر به فسميت المنطقة باسمه. ar. wikipedia. org/wiki

مدرسة نزلة محمد التي تعرف بقرية الحفر، الملاصقة للصحن الثاني وعبد الرزاق بلقط الذي تُسمَّى باسمه مدرسة أولاد تواتي، وبلخير بلحسن والطالب العربي تمودي، الذي يُسمَّى باسمه المعبر الحدودي بمنطقة بوعروة بين الجزائر، وتونس، وغيرهم كثير، فضلا عن مئات المجاهدين، الذين كان لهم شرف حمل السلاح، وتلقين فرنسا دروسا جمة في التضحية، والبطولة، والكفاح والذين منهم: بكار بحري، المدعو زغودة، والطيب غنامي، وعبد الرزاق خليل الذي نال من صنوف التعذيب على أيدي جلادي فرنسا ما لا تقوى على حمله الجبال الراسيات، وأخوه الجيلاني خليل، الذي كان برتبة ضابط في صفوف جيش التحرير الوطني.

رابعا ــ لقد نفذ صبر فرنسا تجاه الطالب الساسي، ومدرسته التي تخدم اللسان العربي المبين، وطلبته، الذين حملوا السلاح بيد، وراية بث الوعي في الأوساط المجتمعية باليد الثانية، مما أزعج السلطات الاستدمارية، فقررت في يوم مشهود أن تجعل حدا لصنيع الطالب الساسي، فأمرت باعتقاله، والزج به في غياهب سجونها الآثمة، ولكن فرنسا لم تكن تتوقع ردة فعل طلبته، الذين تجمهروا أمام مكتب الحاكم الفرنسي بمدينة الوادي، مطالبين بإطلاق سراح أستاذهم، وولي نعمتهم، وحينها أدركت فرنسا العواقب الوخيمة التي ستطالها إن صممت على مكوثه بالسجن، فما كان منها تحت ضغوط جحافل المئات من طلبته الأوفياء، إلا إطلاق سراحه، والاعتذار منه، ليعود إلى مدرسته أمتن عودا، وأصلب عريكة وأشد بغضا للاستدمار، مواصلا بذلك مسيرة دعم الثورة بالمددين الفكري والبشري، فجزاه الله عن وطنه خير الجزاء.

اهتمامه الكبير بيوم الجمعة

لقد كان الطالب الساسي يولي يوم الجمعة اهتماما خاصا، حيث كان يحرص على تطبيق السنن المنوطة بها، وذلك على النحو الآتي:

1 ـ بدء يومها بالغسل، ثم تحسين الهيئة، وارتداء أحسن الثياب، والتطيب مستشعرا بذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " من اغتسل يوم الجمعة، وتطهر بما استطاع من طهر، ثم ادهن، أو مسّ من طيب، ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له، ثم إذا خرج الإمام أنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى"[1].

2 ــ الذهاب إلى المسجد مبكرا: مستجيبا بذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر"[2].

3 ــ قراءته لسورة الكهف، ومواظبته على ذلك، رغبة منه في الحصول على ما ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له

(1)البخاري: الجامع الصحيح ، كتاب: الجمعة باب: لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة 1/ 308.
(2)المصدر السابق ،كتاب: الجمعة ،باب: فضل الجمعة 1/ 301.

من النور ما بين الجمعتين "[1].

4ـ إكثاره من الدعاء يوم الجمعة، لاعتقاده أن فيها ساعة استجابة: لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه "[2].

كما كان رحمه الله إذا سئل عن سر اهتمامه بيوم الجمعة، أجاب بأنه يعروه في يومها الخوف والوجل، لاستشعاره بأنه قد تقوم الساعة في ذلك اليوم، قال: فكنت أحبّ إذا قامت أن تجدني مطهرا، متطيبا، مقيما بالمسجد، ذاكرا، أو مصليا، أو داعيا، أو تاليا لكتاب الله، مرددا قوله النبي صلى الله عليه وسلم: " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة "[3].

مذهبه الفقهي

لقد كان الطالب الساسي مالكي المذهب، بل ويفتخر باتباعه مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وكان يدين الله بفروعه الفقهية، ويفتي بها، في الأعم الأغلب، في مجال العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والجنايات وغير ذلك من

(1) الحاكم: المستدرك، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الكهف 2/ 399.

(2) المصدر السابق، كتاب: الجمعة، باب: الساعة التي في يوم الجمعة 1/ 316.

(3) الترمذي: السنن، كتاب: أبواب الوتر، باب: ما جاء في فضل يوم الجمعة، 2/ 359. حديث حسن صحيح.

أبواب الفقه الإسلامي المتعددة، جاعلا من هذه الكتب مصدرا ومتكأ للمفتوى كمختصر الشيخ خليل، وشروحه، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وشروحها، وكتب ابن رشد الجد، وابن رشد الحفيد، والقاضي عبد الوهاب البغدادي، وأبي الوليد الباجي، والإمام القرافي، وغيرها من أمهات المصادر في الفقه المالكي.

هذا مع التنبيه إلى أنه رغم مالكيته حتى النخاع، إلا أنه كان لا يستنكف أن يفتي بغير مذهبه المالكي، إذا رأى في ذلك مصلحة راجحة، ويتجلى هذا في مخالفته لمذهبه، في مسألة إجبار الأب لابنته البكر، إذ خالف مذهبه الذي يرى جواز الإجبار[1]، حيث كان يفتي بعدم جواز الإجبار، منتحيا بذلك منحى كل، من الحنفية[2] والأوزاعي، والثوري وأبي ثور[3]، وابن تيمية، وتلميذه ابن القيم (رحمهم الله تعالى)[4].

والأمر نفسه في مسألة طلاق الثلاث في مجلس واحد، إذ كان يفتي بوقوعه واحدة متبعا قول كل من شيخ الإسلام ابن تيمية[5] وتلميذه ابن القيم[6]، مخالفا بذلك مذهبه المالكي الذي يقول باعتباره ثلاثا، وأن المطلقة به لا تحل لزوجها حتى تنكح

1 - بداية المجتهد 2/ 6.

2 - بدائع الصنائع 2/ 241.

3 - فتح الباري 9/ 193.

4 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 32/ 24، وزاد المعاد 4/ 2.

5 - مجموع الفتاوى 33/ 8.

6 - زاد المعاد 4/ 54-63.

زوجا غيره [1].

ودافعه في ذلك حرصه الشديد على بناء بيوت الزوجية على أسس متينة قوامها التراضي المؤدي إلى توطيد عرى الألفة، والمودة بين هذين الزوجين الجديدين وكذا حرصه المفرط على استمرارية الحياة الزوجية، والابتعاد عن كل ما يهدم بنيتها التحتية، ويشتت شملها، ويبعد أفرادها عن حضن الأسرة الدافئ، وهذا الذي دعاه إلى الفتوى بعدم وقوع طلاق الثلاث ثلاثا إذا حدث في مجلس واحد، معتبرا أن الغرض من وقوعه دفعة واحدة، أو تكراره ثلاثا، إنما هو من باب التأكيد على الطلقة الأولى، وليس من باب الإنشاء لطلقات أخريات

بهذه الذهنية المتقدة، والحبّ لأبناء قريته أنقذ كثيرا من الفتيات من الإقبار في عش زوجية لا يرغبن فيه، وحمى كثيرا من الأسر من التشتت والتشرذم والتفكيك.

روايته في الإقراء

كان الطالب الساسي رحمه الله قد اختار من قراءة ورش (عثمان بن سعيد 110هـ 197–هـ) عن نافع مسلكا في الإقراء، وقد كان ورش شيخ الإقراء بالديار المصرية .

---

1 – القوانين الفقهية 220، والمدونة 2/ 68،و مواهب الجليل 4/ 39 ،والمنتقى 4/ 3،والجامع لأحكام القرآن 3/ 129 ،وشرح زروق للرسالة 2/ 54،وشرح ابن ناجي للرسالة 2/ 54،وحاشية العدوي 2/ 73 ،والإشراف 2/ 737،و كفاية الطالب الرباني 2/ 73.

جود ختمات على نافع، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه، وقيل: لقبه بطائر اسمه ورشان، ثم خُفِّف، فكان لا يكرهه، ويقول: نافع أستاذي سماني به .

تلا عليه :أحمد بن صالح الحافظ، وداود بن أبي طيبة، ويوسف الأزرق، وعبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم، ويونس بن عبد الأعلى وعدد كثير .

قال يونس :" كان جيد القراءة، حسن الصوت، إذا قرأ يهمز، ويمـــد ويشدد ويبين الإعراب، لا يملّه سامعه ." .

ويقال: إنه تلا على نافع أربع ختمات في شهر واحد[1]

مصدر رزقه

لقد عزف الطالب الســاســي عن العمل في أي وظيفة تحت ســلطة الاســتدمار الفرنسي، وذلك لعلمه المسبق أن ذلك يقيد من حريته، ومن صدعه بكلمة الحق فاكتفى بما يدرّه عليه بستان النخيل " الغوط " الذي ورثه من والده أحمد، والذي كان ينفق الكثير من إنتاجه على طلبة مدرسته القرآنية، وأما بعد الاستقلال فحدثت محاولات عديدة لفرض مرتب شهري له مقابل ما يدرسه من علم، ولكن الطالب الســاســي كان يجهضــها في مهدها، ومن ذلك أن أحد تلاميذه، وهو عبد الله عَلاَلَي والذي كان مســؤولا في الإدارة المحلية يومها، حيث زاره في بيته، وطلب منه أن

1 – الذهبي: سير أعلام النبلاء، 9 / 296 ـ 297.

يمدّه ببعض الوثائق، فسأله الطالب الساسي عن سبب ذلك، فأخبره بأن المسؤولين يتولون فرض راتب له مقابل خدمته للقرآن الكريم، فغضب غضبا غير معهود، وطرد تلميذه، وبقي أياما وهو يردد: ما شاء الله يريد عبد الله أن يفسد علي نيتي المتمثلة في أني نذرت صنيعي هذا خدمة للقرآن، وطالبيه وأني نويته لوجه الله تعالى، ولم يهدأ له بال حتى كرر له تلميذه الزيارة معتذرا منه، مما يدعونا إلى القول بأمثال هؤلاء العلماء الربانيين، الزاهدين تعتز البلاد وتفخر، وتسمو إلى أرقى درجات التطور والتحضر.

أمنياته

مما أثر عن العلامة الطالب الساسي، أنه كان يتمنى أن يمد الله في عمره، حتى تكتحل عيناه بإثمد مرآى الجزائر حرة مستقلة، وأن يحقق الله له حسن الخاتمة وأن يحشره مع أهل القرآن في الآخرة، وقد أوتي سؤله في اثنتين محققتين، أما أولاهما، فعيشه ثماني سنوات كاملة بعد حصول الوطن على حريته واستقلاله وأما الثانية، فكانت آخر ما نطق به حين فاضت روحه إلى بارئها، هو تلاوته لقوله تعالى: " وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ . "(1)، وهي أمارة على حسن خاتمته، وأما الثالثة فنرجو أن يحققها الله له كفاء ما قدمه خدمة لكتاب الله خلال ما يقارب السبعة عقود من الزمن.

---

(1) النجم: 39 ـ 42

نقول: إن ما تمنّاه مترجمنا لم يكن بدعا في صنيعه فيه، بل تمنى بعض الصحابة رضوان الله عليهم، كما نقل لنا ذلك الإمام الذهبي، حيث أورد قول الأصمعي: عن عبد الرحمن بن أبي زناد، عن أبيه قال: اجتمع في الحجر مصعب، وعروة وابن الزبير، وابن عمر.

فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة.

وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم.

وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة.

قال: فنالوا كلهم ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر الله له[1]..

مما يجعلنا نستأنس بهذه القصة، ونقول: لعل الله الجواد الكريم، قد آنس الطالب الساسي بمجاورة أهل القرآن في عالم البرزخ الآن، إلى أن يؤتى سؤله المأمول بالحشر مع دارسي كتاب الله، يوم تقوم الساعة، في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

بعض أقواله الخالدة

لم يكن الطالب الساسي من أولئك الذين يتملقون الناس، أو يمارسون النفاق الاجتماعي في حياتهم، أو واقعهم المعيش، حيث كان صداحا بكلمة الحق، غير مجامل فيما لا ترتضيه قناعاته، ويؤيد ذلك، صنيعه مع بعض التجار، الذين غالبا ما يسمهم منادوهم، ومخاطبوهم بـ: " سي فلان "، وكان هو يخاطبهم بأسمائهم

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، 4 / 432.

المجردة، فلما راجعه بعض جلسائه ومريديه في ذلك، مبرزين له عظم تراثهم، وكثرة ممتلكاتهم، ووفرة أموالهم، وتعدد عقاراتهم، وقوة نفوذهم ورسوخ قدمهم، وعلو كعبهم عند أصحاب السطوة والسلطان، فأجاب مراجعيه بكل ثقة وثبات، وقناعة بأن " **السين لا تكسر إلا لحامل الستين** "، هذه الستون حزبا التي يرفع الله بها أقواما، ويضع بها آخرين، وهنا يذكرني بما رواه الإمام مسلم عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على أهل الوادي فقال ابن أبزى قال ومن ابن أبزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولى قال إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض قال عمر أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين. " (*)... ، وهذا دون ريب يجعلنا نقول صدق الطالب الساسي، في مقولته العظيمة هذه، والتي تجعل من القرآن الكريم مقياسا حقيقيا لرفعة الأشخاص وتقديرهم، والاحتفاء بهم، في واقع الناس المعيش.

كراماته

إننا لسنا من أولئك الذين يغالون في كرامات الأولياء إضافة والصالحين حتى يشمله الوصفان إلى حد التقديس والمبالغة، أو من الذين ينفونها جملة وتفصيلا وإنما نحن من أولئك الذين يسلكون فيها منهجا وسطا، يتمثل في منهج أهل السنة والجماعة، و اتباع قول جماهير الفقهاء، الذين يثبتونها، دون غلو، أو تنكب عن

(*) مسلم: الجامع الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها « باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، برقم: 817.

المنهج القويم فيها، والمبني عن الثابت في كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن والاه، وسلم تسليما، كثيرا، طيبا، مباركا فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: " وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ... "(1).

كما جاء في جوهرة التوحيد:

وَأَثْبِتَنْ للأَوْلِيَا الكَرَامَة *** وَمَنْ نَفَاها فَانْبِذَنْ كَلامَهْ(2).

والولي المقصود هنا، هو الذي ورد وصفه وشروطه في قوله تعالى: " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. "(3).

إذن: فالولي هو الذي توفر فيه شرطا الإيمان، والتقوى، ونحسب محكمين ما ظهر لنا من حال الطالب الساسي، أنه من أولياء الله. وقد حصلت له بعض الكرامات نسرد بعضها على النحو الآتي:

1 ــ كان ابنه محمد كثير المرض، وغالبا ما يُلزمه الفراش، فيأتي والد الطالب الساسي، فيقرأ عليه سورة الرحمن، فيقوم نشطا، كأنما أطلق من عقال، وليس غريبا أن يقع هذا، والله عز وجل هو القائل: " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

(1) شرح العقيدة الواسطية، 287.

(2) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، 78.

(3) يونس: 62 ــ 64.

لِلظَّالِمِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا "[1].

٢ ــ وفد عليه ضيف عزيز، وكان من عادة أهل سوف تقديم الشاي للضيف فأرسل ابنَ ابنه عبد الحميد سلمان، إلى زوجته ربح، طالبا منها أن تنضج الشاي للضيف، فأخبرت المرسَل إليها، بأنه لا يوجد الشاي، ولا السكر في البيت، وما هي إلا برهة من الزمن حتى قدم عليه أحد طلبته القدامى، الذي حفظ القرآن على يديه، والمسمى: بوبكر صلوبة، وهو يحمل قفة من السعف، ممتلئة لحما وخضرا وفواكه، وقهوة، وشايا، وسكرا، وحبوبا، وعجائن، وهكذا لم تخفر ذمته في إكرام ضيفه، وبدل أن يشرب الضيف الشاي، وينصرف، ألــحّ عليه الطالب الساسي في أن يبقى معه لتناول وجبة الغذاء مع تلميذه، الذي جاء محملا بالمؤونة التي أنضج بعضها للتوّ، وهكذا أمسى الطالب الساسي في فرح، وسرور، وحبور مكرما لضيوفه، بعد أن كان بيته خالي الوفاض، من كل ما يقدم للأهل والضيفان.

٣ ــ يروي جمع لا بأس به ممن حضروا جنازته، من بينهم رجل التربية والتعليم حفيده الأستاذ: عبد المجيد سلمان، أنهم حين حملوا نعشه على الأكتاف، كان النعش طائرا، لا يستطيع من بسط الله في طولهم من أهل بلدته وصول أيديهم إليه، وكأن قوة خفية تحمله، وترفعه إلى الأعلى.

---

[1] الإسراء: 82.

عدم وجوب الزكاة في تموره الوفيرة

لقد ورث الطالب الساسي عن والده بستانا من النخيل يدعى محليا بالغوط فيه مئات من أشجار النخيل، التي يفوق إنتاجها السنوي الخمسة أوسق، الممثّلة لمقدار الزكاة، وهو بموازيننا الحديثة حوالي ستة قناطير وثلاثة وخمسين كيلو غراما من التمور، إلا أنه لم تجب عليه الزكاة، وذلك لكونه كان يتصدق بكل تموره على طلبته، الذين يدرسون بمحضنته القرآنية، ويأكلون من ثمار هذه النخيل، فضلا عن إهدائه، وتصدقه بما بقي من تموره التي يجنيها فائضا عن قوت طلبته، المقدس عنده، والمقدم عن قوته، وقوت عياله، وهذا كله جعل من الطالب الساسي لا يبقى بين يديه ما يوجب الزكاة، شأنه في ذلك شأن العلماء الربانيين، من أمثال الليث بن سعد، الذي كان يتاجر في العسل، وكانت مداخيله السنوية تصل إلى خمس وعشرين ألف دينار ذهبي، أي ما وزنه: مائة وستة كيلوغرامات ومائتين وخمسين غراما من الذهب، أي ما يقارب ثمنه السبعين مليار سنتيم بنقودنا الحالية، ولكنه كان ينفقها كلها في سبيل الله على العلماء، والفقراء، وطلبة العلم إذ كان يصل الإمام مالكا بمائة دينار في السنة، وكتب إليه مالك: عليّ دين، فبعث إليه بخمس مائة دينار، وكتب إليه مرة أخرى: إني أريد أن أدخل بنتي على زوجها فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفر، فبعث إليه بثلاثين حملا عصفرا، فباع منه بخمس مائة دينار، وبقي عنده فضلة»[1]. ولما احترقت كتب ابن لهيعة، بعث إليه من الغد بألف دينار، وعن أحمد

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء 8 / 149.

بن عثمان النسائي قال :سمعت قتيبة قال: سمعت شعيبا يقول: يستغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألفا، تأتي عليه السنة وعليه دين [1]. هكذا كان العلماء الربانيون، ينفقون أموالهم آناء الليل وأطراف النهار، غير عابئين بثراء زائل، أو مال عابر، همهم في ذلك هو إسعاد ذويهم من بني جنسهم، ولو كان ذلك على حساب مقدراتهم وأرزاقهم، وأقوات عيالهم.

وفاته

بعد رحلة عمرية قاربت التسعة عقود من الزمان، كانت مليئة بالعبادة، والعلم، والعمل فاضت روحه إلى بارئها صبيحة يوم الاثنين في 10 شهر ربيع الثاني 1390 ه، الموافق لـــ: 14 من شهر جوان 1970 م، وهو يتلو قول الله تعالى: " وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ " [2]، فانتهى إلى ربه حميدا، ليكون آخر كلامه في هذه الدنيا كلام اللطيف الخبير.

وما أن أعلن عن وفاته حتى بدأت وفود المعزين تصل من كل أنحاء القطر الجزائري، ليقرر أبناؤه تأخير إقباره لصبيحة اليوم الموالي انتظارا للوافدين، وهو يوم الثلاثاء 15 جوان 1970 م، حيث خرجت الوادي عن بكرة أبيها تودع عالمها

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء 8 / 152 ـــ 153.

(2) النجم: 39 ـــ 42.

الفذ، ومصلحها الألمعي، وشيخها الوقور، نصير الضعفاء، وخادم القرآن والسنة ويومها أغلقت الإدارات، وأوصدت المحلات، وتعطلت الدراسة في جل المحاضن العلمية الحرة، وذلك لكون جل مؤطريها من طلبته، أو محبيه، ليسدل بذلك الستار عن شخصية نذرت نفسها للقرآن وعلومه، باذلة من أجل نشره الغالي والنفيس، فجزاها الله خير الجزاء، وأجزل لصاحبها المثوبة والعطاء.

السيرة العلمية

للعلامة الطالب الساسي سلمان

السيرة العلمية للعلّامة الطالب الساسي سلمان

إن المرء ليشعر بالرهبة تغمر كيانه كله، حين يفكر مجرّد التفكير في الكتابة حول سيرة العظماء العلمية، فكيف به إذا رفع قلمه، وبدأ في تدبيج سيرة لهم تكشف عن مدى ما قدموه خدمة للقرآن الكريم وعلومه، والفقه وفروعه، والدين ومقاصده والعقيدة وحيثياتها، وتزداد الرهبة شدة، والأمر صعوبة إذا تعلق الأمر بكتابة الأحفاد عن الأجداد، وبخاصة إذا كان الحفيد لم يكن يوم كان الطالب الساسي يصول علميا ويجول، قد بلغ سنّا تجعله يدرك ما يدور حوله من أحداث، غير أن الذي يشجع على الكتابة، أن هذا الحفيد قد جمع مادة خبرية غزيرة من أفواه ثلّة من الثقات، الذين درسوا على يديه، أو عايشوه، مما يجعله يستمد العون من الله العلي القدير، في كتابة هذه السيرة العلمية للجد: العلامة، الشيخ، الطالب الساسي سلمان، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أبرز أساتذته

لقد درس الشيخ الساسي على عدة مشايخ أبرزهم، الشيخ محمد خماس القماري، الذي نزح من مدينة العلماء قمار، ليحط عصا التّرحال في قرية أولاد تواتي، الملاصقة لمسكن مترجمنا، القاطن بالصحن الثاني، فتتلمذ على يديه آخذا عنه القرآن غضا طريا كما أنزل، وبعض مبادئ العلوم الدينية، ليتتلمذ بعده على يد العالم الرباني، بالقاسم اللبّي، الفرجاني، والذي دعاني لنسبته للفرجان، هو حبّي الكبير لهذه الفئة الطاهرة، المتدينة، والتي عمرت بها كثير من بيوت الله، حتى سمي مسجد من أكبر المساجد اليوم بولاية الوادي بمسجد الفرجان، فهنيئا لهم حرصهم على عبادة ربهم، واتباع نهجه ودينه، كما كان الساسي من طبقة العلماء الشيخ الطاهر العبيدي، وأخيه أحمد، والميداني موساوي، وإبراهيم العوامر الذين أخذ عنهم العلم، وحضر دروسهم، واستفاد من مكتباتهم، فضلا عن استفادته من المذاكرات التي كانت تحدث بينه، وبين بلديّه الشيخ الجليل: سي الطيب بالقط جد العالم الجليل، ومفتي ديار سوف الآن الشيخ الرباني، والعالم النوراني والمصلح الاجتماعي الأستاذ: عبد الكريم بالقط، زيادة عن احتكاكه ببعض الدارسين بجامع الزيتونة المعمور، والمتخرجين من الزاوية الرحمانية بنفطة التونسية، من أبناء مدينة الوادي، لاسيما من أهل قمار، هذا كله جعل من رصيده العلمي ينمو، ويتشذب، ويتهذب، لينتج عن ذلك كله عالم متمكن، وفقيه متضلع اسمه الشيخ الساسي سلمان.

حب والده الحاج أحمد للقرآن الكريم وأهله

لقد كان والده الحاج أحمد رجلا أميا لا يكتب، ولا يقرأ، لكنه كان محبا للقرآن الكريم، وأهله، مما دفعه إلى أن يدلف بابنه الساسي إلى محاضن القرآن الكريم، ليحفظ كتاب الله تعالى، بنيّة أن يأتي القرآن الكريم، الذي يحفظه ابنه شفيعا له يوم القيامة، وبالفعل عهد بابنه للطالب: محمد خماس القماري، الذي كان نعم الأستاذ، إذ في سن مبكرة حفظ الطالب الساسي على يديه كتاب الله تعالى، وكانت يومها المفاجأة شديدة الوقع على قلب الأستاذ محمد خماس، إذ لم يكن يتوقع، أو يخطر بباله أن والد الطالب الساسي: الحافظ الجديد لكتاب الله سيهديه جملا، وهي هدية معتبرة في ذلكم الزمن الجميل، إذ كان مُلاك الجمال قلة، يعدون على أصابع اليد، هذا الجمل الذي يعد ثروة معتبرة في تلك الحقبة الزمنية، وهنا دعوني أعلق على هذا الصنيع المبهر بالقول: إن هذا الجمل الذي أهداه الحاج أحمد لأستاذ ابنه هو بمثابة سيارة من نوع هامر، أو مرسيدس اليوم لأنه كان وسيلة للركوب، وأداة لنقل البضائع التجارية، مما يجعل ممتلكه في تلك الفترة، يشار إليه بالبنان، وقد يطلق عليه مصطلح شهبندر التجار.

بهذا الكرم الحاتمي كان أولياء الأمور يحتفون بشيوخ أبنائهم، توقيرا للعلم وحبا لأهله، وتشجيعا لباذليه، فما أحرانا بسلوك نهجهم، واقتفاء آثارهم، والاقتداء بصنيعهم، عسى أن تعود للعلم مكانته، وللعلماء هيبتهم، وما ذلك على الله بعزيز.

بعد حفظ الطالب الساسي لكتاب الله، والمبادئ الأولى للعلوم الشرعية بمسقط

رأسه، تاقت نفسه للاستزادة العلمية. فأرسل به والده إلى زاوية نفطة بالأراضي التونسية، والتي نهل من رضاب علومهـا لمدة سنتين كاملتين، ليفاجئه القدر بموت والده ، فيضطر للعودة، لكفالة العائلة، وليرجع لمسقط رأسه مشبّعا بالعلوم النافعة، ويبدأ مسيرة التدريس المباركة، التي قارب أمدها، وامتد عطاؤها واستمرّ عطر أريجها الفوّاح لمدة تربو عن السبعين عاما، فجزاه الله عما قدّم لدينه ووطنه، وأمّته خير الجزاء.

مدرسته القرآنية

اتخذ الطالب الساسي رحمه الله تعالى من بستان نخيله مقرا لمدرسته القرآنية حيث أنشئت في رحابه، بعض الزرائب، المقامة من جريد النخيل، وسعفه، والتي كانت تكنّ الطلبة من حر الهجير، ولفحات الشمس، واستمر الحال على ما هو عليه لعدة عقود من الزمن ، إلى أن شعر الطالب الساسي ببعض الضعف الجسدي، فأراد أن يقرّب مدرسته أكثر من مسكنه العائلي، فما كان منه إلا أن خصص جزءا من بيته العائلي لتبنى فوقه هذه المدرسة، التي أصبحت تسمى بدار الجامع، والتي هبّ المواطنون من أبناء بلدته لبنائها، دون أن يأخذوا على ذلك دينارا، أو درهما، وكان قائد فريق البناء " Maçon " السيد الفاضل: بشير بالقط المعرف ببوسنينة، وفي وقت وجيز تم بناؤها، وذلك بسبب تضافر الجهود، وسمو الهمم، وحب العلم، وقد مكث الشيخ يدرّس بها إلى ما قبل ثلاثة أيام فقط من التحاقه بالرفيق الأعلى، وبعد وفاته ضمها السيد لخضر كريم إلى مسكنه العائلي وذلك لأن بيته كان لصيقا بها، ولم يطالبه أي من الورثة بثمنها، ولم يلق أي اعتراض على ضمها، لأن هذه المدرسة

صارت بعد موت الشيخ مزارا لطلب البركة، وممارسة بعض طقوس الشعوذة والبدعيات، فكان ضم لخضر كريم لها إلى مسكنه أمرا حسنا قطع به الطريق على قوافل المعتقدين فيها النفع والضر من دون الله.

كما يجدر بنا التنويه بشدة ارتباط الطالب الساسي بمدرسته القرآنية، التي جعلت منه ــ وقد كبرت سنه ــ، يرفض التماس، ورجاء ابنه محمد، الذي أتمّ بناء مسكنه الجديد في أن ينتقل ليسكن معه في هذا البيت، إذ خاطبه قائلا: لا يمكن أن أبتعد عن مدرستي، التي هي ريحانتي، وقرة عيني، في هذه الحياة، وإني أسأل الله القدير، رب العرش العظيم، أن يخرج نعشي منها، وأمّا أنت يا ولدي، يا محمد، فإني أسأل الله أن لا يطيل مكثي في هذه الدنيا، حتى لا أؤخر زمن انتقالك لبيتك الجديد.

وبالفعل لقد حقق الله له أمنيته، إذ سُجّي جثمانه الطاهر في مدرسته، ليخرج منها إلى مثواه الأخير، كما أنه لم يمكث بعد هذا الرجاء من ابنه محمد في اصطحابه لبيته الجديد إلا ستة أشهر، بعدها التحق الشيخ الساسي بالرفيق الأعلى، هذا

و يجدر بنا هنا أن نفخر ببر ابنه له، الذي ترك منزله الجديد موصد الأبواب وبقي مجاورا لوالده في بيته القديم، فما أروع صنيع الأب في تمسكه بمدرسته القرآنية، وما أجمل تشبث الابن ببرّ أبيه، والإصرار على جواره، وعدم الابتعاد عنه ما بقي على قيد الحياة.

علماء مرموقون لقيهم أو عاصرهم

بعد انضمام الشيخ "عبد العزيز الشريف"لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بادر بتنظيم زيارة لرئيس الجمعية، بمعية وفد هام في شهر ديسمبر 1937م، وقد ضم الوفد كلا من:

1 ــ الشيخ: عبد الحميد بن باديس.

2 ــ الشيخ: الفضيل الورتلاني

3 ــ الشيخ: امبارك الميلي.

4 ــ الشيخ: محمد خير الدين.

5 ــ الشيخ: العربي التبسي.

6 ــ الشيخ: حمزة شنوف، المدعو بكوشة، السوفي ولادة وأصلا، والزيتوني دراسة، والمتميز أدبا وشعرا، والذي شغل منصب رئيس المحكمة العليا بعد الاستقلال.

لقد كان الطالب الساسي من أعيان البلد المرموقين، وعلمائها الربانيين ومدرّسيها العاملين، حيث كانت له لقاءات متكررة مع وفد جمعية العلماء المسلمين، أثناء الفترة القصيرة، التي مكثها أعضاؤه بالوادي، ومداشره، وقراه وقد استرشد يومها برأي الشيخ ابن باديس، الذي حثه على مواصلة التدريس وشجعه على حث طلبته على فتح مدارس للتعليم، الذي دونه لا تتنور العقول التي تخطط لطرد الاستدمار الفرنسي من ربوع هذا الوطن الحبيب.

د. العلماء الذين عاصرهم وعايشهم فهم كثر نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1 ــ العلاّمة عبد العزيز بن الهاشمي الشريف شيخ الزاوية القادرية، وأحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين، العاملين، والذي التحق بالرفيق الأعلى بالجمهورية التونسية سنة: 1965 م بعد الاستقلال بثلاث سنوات.

2 ــ الشيخ الطاهر العبيدي المالكي المذهب، الزيتوني الدراسة، الرحماني الطريقة.

3 ــ الشيخ إبراهيم العوامر، القاضي الشرعي بمدينة الوادي، وصاحب كتاب: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف.

4 ــ الشيخ أحمد العبيدي أخ العلامة الشيخ الطاهر، والمتتلمذ على يديه.

5 ــ الشيخ المداني بن موسى.

6 ــ الشيخ سي الطيب بالقط، جد العالم الجليل: عبد الكريم بالقط، والذي يشركه سكن قريته، المسماة بالصحن الثاني.

نقول: لقد عايش الطالب الساسي هؤلاء العلماء الأفذاذ، وتدارس معهم بعض القضايا، واستشارهم في العديد من الفتاوى قبل إصدارها، مسترشدا بعلمهم، ومستأنسا بآرائهم السديدة، لا سيما سميّه، وبلديه الشيخ: سي الطيب بالقط، الذي كان يراجع معه الكثير من مسائل الميراث، التي تطرح عليه.

أبرز تلاميذه

لقد قرأ على يديه عشرات الآلاف من الطلبة، الذين حفظوا كتاب الله كاملا، أو نصفه، أو ربعه، أو شطرا منه، وهنا نذكر جملة ممن ختموا كتاب الله كاملا على يديه، وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر، إذ منهم:

1 ــ ابنه المعمر الطالب أحمد.

2 ــ سي لزهاري بالقط.

3 ــ سي لخضر بالقط.

4 ــ سي ميلود بن عامر.

5 ــ سي إبراهيم بن عزالي منانة.

6 ــ سي علي منانة.

7 ــ سي عمارة لمقيرحي.

8 ــ سي ميلود لمقيرحي.

9 ــ سي عبد الله فريتح.

10 ــ سي عبد القادر رحال.

11 ــ سي أحمد بوترعة.

12 ــ سي صالح ضو.

13 ــ سي الطيب غنامي.

14 ــ سي الجباري علاق.

15 ــ سي لمين العوامر.

16 ـــ سي ضو بلحسن.

17 ـــ سي محمد العيد سباق.

18 ـــ سي ناجي عون.

19 ـــ سي محمد عون.

20 ـــ العنبري بوترعة.

21 ـــ محمد الدردوري.

22 ـــ الطالب العربي قمودي

هذا مع ضرورة التنويه بصنيع الطالب الساسي مع شريحة الأيتام من طلبته، إذ كان يمدّهم بعطفه المتدفق، ومعاملته الخاصة، تعويضا من فضيلته لهم عن الحرمان الذي ألمّ بهم بسبب فقدان آبائهم، ومن ذلك ما رواه السيّد الفاضل: بشير محده، أحد طلبته الأيتام، من أن شيخه كان يخصّه بمعاملة تفضيلية، فلم يضربه إلا مرّة واحدة طيلة فترة دراسته الطويلة عنده، رغم شدته وحزمه مع تلاميذه الآخرين، كما كان يخصّه بمزيد عطاء من تمر بستانه، مما جعل السيد بشير محده يقول عن أستاذه: لقد كنت بمحضنته كالطير، التي تغدو إليها خماصا، وتعود إلى بيتها العائلي بطانا، والمعاملة نفسها كان يحظى بها أخواه الأستاذ إبراهيم محده وصنوه امبارك، لكونهما من أيتام منطقته، إذ كان الطالب الساسي يتبوأ دور المعلم، والولي، والوصي على هذه الشريحة من أبناء حيّه ممن فقدوا العائل والكفيل.

فراسته الثاقبة

كان أولياء الأمور يفدون على الطالب الساسي مصطحبين أبناءهم، ملتمسين منه قبول انخراطهم في سلك طلبته، وكان لا يرد أحدا بسبب كثرة العدد، أو ضيق المكان، وقد جاءته في يوم من الأيام أمّ أحد التلاميذ الجدد، وبعد تحيته، قالت له: يا سيدي الشيخ، ها قد أتيتك بابني ليدرس، وفي الوقت ذاته نتخلص من شغبه وضوضائه، وعلى الأقل يصبح يستطيع قراءة الرسائل الوافدة من الأقارب والخلان، فما أن أنهت كلامها، حتى خاطبها الشيخ قائلا: يا أمة الله لقد أتيت بابنك مصحوبة بهذه النية الفاسدة، وأنا أبشرك من الآن أنه سوف لن يحفظ كتاب الله، ولن يتجاوز في تعلّمه القدر الذي يقرأ به الرسالة، ومكث هذا الطالب سنة كاملة بدت عليه فيها مظاهر الخمول العلمي، إذ لم يجن خلالها إلا تعلم الحروف، والقدرة البسيطة على القراءة، والكتابة، وحينها جاءت أمّه تسأل عن مدى تحصيله، فسألها الطالب الساسي: هل الإناء الذي نضع فيه القطران، يمكننا أن نضع فيه السمن ؟. قالت الأم: لا، فقال لها: إن ابنك قد تقطرن قلبه، ولا يمكن وحاله هكذا أن يضع الله فيه سمنه النفيس، المتمثل في القرآن الكريم ، وبالفعل مكث هذا الطالب من عمره سنين عددا في محضنة الطالب الساسي، دون أن يجني تحصيلا علميا يشهر، وصار كثير ممن عايشوه، يرددون: لقد صدقت فيه فراسة " نعم سيدي " الطالب الساسي رحمه الله تعالى.

مسؤوليات عليا تقلدها بعض تلاميذه

لقد تقلد جمهور عريض من تلاميذه للعديد من المسؤوليات في الدولة الجزائرية، حيث ترأسوا للكثير من القطاعات، نذكر نماذج لهم، على النحو الآتي:

1 ــ الأستاذ عمارة بريم، الذي كان إطارا ساميا بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

2 ــ الأستاذ الهاشمي هويدي، الذي شغل منصب مستشار بالمحكمة العليا ورئيس غرفة الأحوال الشخصية بها.

، والذي وهب بيته بالوادي لتقام عليه مدرسة قرآنية، تابعة لمسجد الشهداء وقد تجسد المشروع في أرض الواقع، والمدرسة الآن قائمة على أشدها، فجزاه الله عن خدمته لدينه ووطنه خير الجزاء.

3 ــ العروسي بريم، الذي كان مسؤولا رياضيا كبيرا بولاية ورقلة.

4 ــ هويدي محمد الذي كان يشتغل إطارا بديوان ولاية الوادي، وهو الآن متقاعد.

5 ــ عبد المالك بريم المدعو أحمد، الذي شغل رئيس المجلس القضائي بالبليدة. ، ثم محاميا بعد تقاعده.

حثه لطلبته على فتح المدارس التعليمية بأنحاء الوادي

لقد استجاب لهبته العلمية جمع من طلبته، الذين تخرجوا على يديه، إذ قاموا بتحقيق رغبته في فتح مدارس لتدريس القرآن الكريم وعلومه، تكون قريبة من مساكن المتعلمين، ومن ذلك:

1 ــ **مدرسة جامع حي المراغنية:** والتي كان يدرس بها القاضي الشرعي للمجاهدين، إبان الثورة، الأستاذ: الطالب لخضر بالقط، والذي درس قبل ذلك بالمتلوي بتونس الشقيقة.

2 ــ **مدرسة حي قرية الرقيبة:** والتي درس بها سي لزهاري بالقط، قبل انتقاله لمدرسة جامع الفرجان سابقا، والمسمى بمسجد الهداية حاليا.

3 ــ **مدرسة جامع الفرجان بحي الصحن الثاني:** والتي كان يدرس بها سي لزهاري بالقط.

4 ــ **مدرسة مسجد بوعلي بحي أولاد احمد:** والتي كان يؤطرها سي ميلود بن عامر.

5 ــ **مدارس مسجد عثمان بن عفان بورقلة، ومسجد حي الشهداء، ومسجد حي أولاد عياد:** والتي كان يؤطرها محمد العيد سباق، الذي أقام مدة طويلة بورقلة، ثم انتقل لمدينة الوادي، التي درس فيها تباعا بالمدرستين سالفتي الذكر.

6 ــ **مدرسة المعمر الطالب أحمد سلمان ابن مترجمنا بحي الصحن الثاني:** والتي اتخذ لها من بيته العائلي مقرا، وقد تخرج منها مئات الدكاترة، والأساتذة والأطباء، والمهندسين.

نخيل سمي بأسماء بعض طلبته

لقد كان بعض طلبته يرابطون في أماكن معينة، يتخذون منها، موطنا دائما لحفظ كتاب الله، ومراجعته، إذ كان الواحد منهم يجلس في مكانه، الساعات الطوال ليكرر الثمن الذي كتبه في اللوح الخشبي أكثر من ثلاثمائة مرة، قبل عرضه على أستاذه الطالب الساسي، ونظرا لتعوّد بعض طلبته على الجلوس في أماكن معينة تحت ظلال نخلة بعينها، حيث تصير مَعْلَما دالا عليهم، تَسَمَّى بعض النخيل بهم فصار يطلق على بعض أشجاره: غرس بخروتة، الذي كان يلازم الجلوس تحته الطالب بن عتوس، وغرس الطالب عمارة، الذي كان يواظب على الجلوس تحته الطالب عمارة لمقيرحي، وغرس مصطفى، الذي كان يستظل بظلاله أثناء حفظ كتاب الله، مصطفى سلمان بن الطالب الساسي، مما يجعل من بستان الطالب الساسي غوطا مباركا، ما من زاوية من زواياه إلا وتليت فيها آيات من الذكر الحكيم، مما يضطرني إلى القول: ياليت حدائقنا، ومساكننا، ومساجدنا ومدارسنا بل وحتى سياراتنا تكون عامرة بتلاوة آي كتاب الله العلي العظيم.

معرفته باللغة العربية

كان الطالب الساسي، يتدارس مع جمع من طلبته، بعض قواعد اللغة العربية حيث كانوا يومها يتحدثون عن نواصب الفعل المضارع، والمتمثلة في: أن، لن إذن، كي، غير أن أحد الطلبة قال: يا سيدي هل هذه القاعدة عامة، في نصب الفعل المضارع بهذه الحروف أم لا ؟، وإذا كانت كذلك، فلماذا نقرأ في قوله تعالى: " علم أن سيكونُ منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله. " ؟، أي أن الفعل: يكون جاء مرفوعا بعد أن، وإذا بالطالب الساسي يبتسم، ويقول لطالبه: يا بني: " يرفع الفعل المضارع بعد أن إذا سُبق بعلم أو ظن. "، كما كان غالبا ما يركز على بعض القواعد اللغوية قصد ترسيخها في أذهان طلبته، فكان يقول لهم: كيف يعرب الاسم المعرف بالْـــ بعد اسم الإشارة، فيمهلهم ليفكروا قليلا، ثم ينجدهم بهذه القاعدة: " معرفة بعد إشارة بالـــ عطف بيان أو بدل. " وهذا دون ريب يعد أمارة على معرفته بخبايا اللغة العربية، وتضلعه في أدق حيثياتها.

استخدامه للألغاز الفقهية مع طلبته

ومن ذلك سؤاله إياهم عن المسائل التي يعتد فيها الرجل، فيفاجئهم بذلك وهم الذين درسوا أن المرأة هي التي تعتد، وغالبا ما يمهلهم أياما للبحث والتنقيب، وبعدها يجيبهم، بأن الرجل لا يمكنه أن يتزوج إذا طلق زوجته الرابعة طلاقا رجعيا، حتى تنقضي عدتها، وذلك لقيام الزوجية أثناء فترة العدة، والزوج لا يمكنه الزواج بخمسة، مما يجعله كأنه معتد، إلى حين انقضاء عدة مطلقته، والأمر نفسه إذا طلق امرأته ولم تنقض عدتها، فلا يمكنه الزواج من أختها، أو عمتها، أو خالتها، حتى تنقضي عدتها، مما يجعله في حكم المعتد، وغرضه من ذلك هو اختبار ذكاء طلبته، وحثهم على التفكير، وتدريبهم على البحث والتنقيب، وحل المسائل العويصة.

تحضير طلبته لإمامة الناس في صلاة التراويح وتدريبهم على ذلك

لقد كان الشيخ الساسي يحضر تلاميذه لصلاة التراويح في مساجد الوادي انطلاقا من شهر الله الحرام رجب، فيبدأون في الاستظهار، والمراجعة على يد أستاذهم، وغالبا ما يحضر هذه الجلسات الربانية جموع الناس من مختلف الفئات العمرية، والشرائح الاجتماعية، والتي يكون فيها إبريق الشاي، وطبق الفول السوداني " الكاوكاو "، حاضرين، والتي يحدث فيها التنافس على أشده بين الطلبة، حيث يهللون، ويكبرون لمن يستحضر ورده دون الوقوع في خطأ، كما أنه ما أجمل ذلكم النشيد الجماعي، الذي يردده الأستاذ مع طلبته عقب الانتهاء من عملية العرض، والتكرار على الشيخ، والذي جاء فيه:

كلامٌ قديمٌ لا يمل سماعه تنزه عن قولي وفعلي ونيتي

به أشتفي من كل داء ونوره دليل لقلبي عند جهلي وحيرتي

فيا رب متعني بسر حروفه ونور به قلبي وسمعي ومقلتي

وسهل علينا حفظه ثم درسه بجاه النبي والآل ثم الصحابة

صلاتك ربي والسلام على النبي صلاة لها ريح من المسك أطيب

هذا عن التحضير للتراويح، أما فيما يتعلق بتدريب الطلبة على إمامة التراويح فقد سلك فيه الطالب الساسي مسلكا لا يقوى على تنفيذه إلا أصحاب العزائم الفلاذية، من أمثال الطالب الساسي، الذي كان تدريب طلبته على إمامة التراويح ينطلق بعد انتهاء دوام الطلبة المتمدرسين صباحا، والذي يبتدئ من بعد صلاة الصبح إلى العاشرة صباحا، لينطلق بعده مباشرة في تدريب الطلبة على كيفية إمامة صلاة التراويح، والذي يستمر إلى قبيل المغرب، لا يفصلهم عن ذلك إلا أداء الصلوات المفروضة.

نقول: بهذه التضحيات الجسام، والاستغلال الأمثل للأوقات، والخدمة الراقية للقرآن الكريم، كان الطالب الساسي يجعل من يومه الرمضاني، لا يشوبه الفراغ بل

كله صلوات، وذكر، وتفرغ لتلاوة كتاب الله، وسماعه، والتعبد به، مما يجعلنا نهيب بهذا الصنيع، الذي لا يقوى على الدأب عليه إلا ذووا الهمم العالية والنفوس الكبيرة.

شأنه مع القرآن الكريم

لقد جعل الطالب الساسي رحمه الله تعالى من القرآن الكريم شغله الشاغل فكان يتلوه آناء الليل، وأطراف النهار، لا يحجزه عن تلاوته إلا النوم، أو الدخول للحمام، بل إنه كان إذا دخل للحمام جعل طرفا من ثوب قميصه في فمه، حتى يوقف لسانه عن التلاوة، بل إنه أثر عنه أنه كان عند الحلاق، وهو لا يعرفه، وأثناء الحلاقة، كان يراجع كتاب الله، فكاد الحلاق أن يحدث جرحا في رأسه، ولما تكرر منه ذلك، خاطبه الحلاق بقوله: هل أنت مجنون ؟، فأجابه بكل برودة أعصاب: لا، ولكني مواظب على قراءة القرآن، فنسيت أنني يجب علي الكف عن ذلك حتى لا أجرح، فما كان من الحلاق إلا أن ترجاه أن يسامحه، ويعفو عنه، وراح يقبل رأسه، ورفض أن يأخذ منه أجرة مقابل حلق شعره، فما أعظم الطالب الساسي الذي جعل من القرآن شغله الشاغل، وما أجمل هذا الحلاق، الذي تفاعل مع كتاب الله حبا، وتوقيرا، واحتراما.

كما كان رحمه الله تعالى، يختم كتاب الله أربع مرات في الأسبوع، مما يجعلنا نجزم أنه ختم كتاب الله خلال ما يقارب الثمانية عقود من الزمن، أزيد من ست عشرة ألف ختمة من القرآن، إذ لا يوجد مكان في بستانه، أو مدرسته، أو بيته، إلا وهو شاهد

على مدارسته لكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وهنا يحضرني تعليق الشيخ الصفاقسي على شيخه عبد السلام الأسمر، الذي كانت له ختمات عدة في أسبوع واحد، فقال: أولئك قوم مدّ الله لهم الزمان وبارك لهم في المكان[1].

يضاف لذلك كله، أنه رحمه الله تعالى كان إذا تنقل من قريته الصحن الثاني، إلى أي مكان من أماكن الوادي، لعزاء، أو مواساة، أو تبريك، كان يصحب معه بعض طلبته، ليعرضوا عليه محفوظاتهم من القرآن الكريم، في الطريق، الذي غالبا ما يكون قطع مسافته على الأقدام، وذلك استغلالا منه لقيمة الوقت، الذي هو الحياة.

يضاف لذلك كله، تفاعله الكبير مع آي الذكر: فكان كثير البكاء، لاسيما عند مروره بآيات العذاب، حيث يسمع له نشيج، وحشرجة في صدره، تشبهان دوي النحل، كما أنه يعلو وجهه البشر، والسرور، والحبور، عند قراءته لآيات الرحمة والمغفرة، ووصف الجنة، كما كان غالبا ما يقطع قراءته ليؤمن عند الآيات المتضمنة للدعاء، فهو لم يكن يقرأ القرآن تلك القراءة العابرة، التي لا تتجاوز اللسان، وإنما كان يتدبر آياته، قصد العمل بها، وتطبيق ما ورد بين جنباتها من أحكام، ومواعظ، مما يجعلنا نغبطه على هذا الاحتفاء العظيم بكتاب الله عز وجل.

---

1 – أفادنا بهذه المقولة الشيخ المقرئ، والمحكم الدولي لمسابقات القرآن الكريم وترتيله: الأستاذ الدكتور: كمال قدة، السوفي حفظه الله ورعاه.

معرفته بعلم الحساب

لقد كان الطالب الساسي، صاحب ذكاء وقاد، ومعرفة فائقة بعلم الحساب ومما يؤكد ذلك، أنه كان يسأل طلبته عن رجل وهب 17 جملا لثلاثة أشخاص، فأعطى للأول نصفهم، وللثاني ثلثهم، وللثالث تسعهم، فما نصيب كل واحد منهم، شريطة أن يتحصل كل منهم على عدد صحيح، ويكون الجميع راضين، ودون باق بعد القسمة.

نقول: بقسمة بسيطة نصف 17 هو ثمانية جمال ونصف، وثلثها هو خمسة جمال فاصل ستة وستين، وتسعها هو واحد فاصل ثلاثة وثمانين، ولكن الطالب الساسي بعدما يعطي لطلبته مهلة، يجيبهم بطريقة تطفح ذكاء، حيث يخبرهم بأن المسألة تتطلب إضافة جمل، فيصبح عدد الجمال 18 جملا، فيكون نصفها 9 جمال، وثلثها 6 جمال، وتسعها جملان، فيكون مجموع القسمة هو: 9 مضافا إليه 6، زائد 2، فيكون المجموع هو: 17 جملا فقط، وهكذا كل واحد يأخذ أكثر مما يأخذه بتقسيم العدد 17، مما يجعل حل هذه المسألة بهذه الطريقة، أمرا يشبه الخيال، ويرضي جميع الأطراف، ويرد فيه الجمل الزائد نظريا فقط في المسألة مما ينبئ عن معرفة مكينة، وخبرة كبيرة في مجال علم الحساب، الذي يتقنه الراسخون في علم الفرائض، الذي يتطلب، قسمة المسائل، وتصحيحها، وما يعروها من عول، أو رد.

طريقته في ترسيخ العلوم في أذهان طلبته

لقد كان الطالب الساسي يسعى لترسيخ المعلومات في أذهان طلبته. حتى ييسر لهم حفظ ما يتدارسونه، فكان حينما يحدثهم عن ترتيب صرف أموال الميت بعد وفاته، فيجمع لهم ذلك كله في كلمة: " تدوم "، ويقول لهم: إن التاء للتجهيز والدال للديون، والواو للوصية، والميم للميراث، كما يلخص لهم متعلقات التيمم، في عبارتي: نضوكم تصد، ثم يشرح لهم ذلك، فيقول: إن النون للنية والضاد للضربة الأولى، والواو للوجه أي مسحه، والكاف لمسح اليدين للكوعين، والميم للموالاة، والتاء للتتابع، والصاد للصعيد الطيب، والدال لدخول الوقت. كما كان ييسر على عوام الناس حفظ بعض المسائل، فكان يقول لهم: إن فرائض الوضوء تتمثل في: وجهي ويديّ، أراسي ورجلي، والدلك، والفور، والنية وبهذا كان يرسخ العديد من المسائل في أذهان طلبته، ومريده، فجزاه الله على ما بذل. وييسر خير الجزاء، وأجزل له حسن المثوبة، ووافر العطاء.

رفضه الهجرة للبقاع المقدسة وتركه لمدرسته وطلبته

لقد اقترح عليه ابن عمه الحاج الهادي ـــ المهاجر للمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة، وأزكى السلام، سنة: 1948 م، والحاصل على الجنسية السعودية، ودفين البقيع بالمدينة ـــ الهجرة للمدينة فرارا من ظلم، وبطش الآلة الاستدمارية، وألح عليه في ذلك، لدرجة الالتماس، لكن الشيخ الساسي، أجابه قائلا: لا يمكنني الهجرة والوطن مغتصب، وهذه الشرذمة الغائضة لنا تدنّس ربوع أرضه الطاهرة، كما أنه ليس من الرجولة في شيء أن نغادر الوطن، وهو يئن تحت نير الاستدمار، ثم يا سي الهادي لمن أترك مدرستي، ومن يتكفل بهؤلاء الطلبة الذين يؤمونها للنهل من معين القرآن الصافي، ومن نبع العلم الشرعي السلسبيل ؟ اذهب ياسي الهادي، فأنا قد حزمت أمري، وقررت أن أبقى هنا خادما للعلم وطلابه، إلى أن ألقى الله على هذه الحال.

وفعلا هاجر ابن عمه الحاج الهادي مع أسرته، وعاش بحي النصر بالقرب من بقالة نادر في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن وافاه الأجل المحتوم بالمدينة، وبقي الشيخ الساسي في وطنه الأم يجاهد بالقلم الحر، والكلمة الصادقة، مرتقا من مداد العلماء، أفضل من الهجرة، وأن مضايقات فرنسا لا يمكنها أن تثنيه عن خدمة كتاب الله، الذي جاءت آياته المحكمات، حاثة على نشر العلم والجهاد من أجل تحرير الأذهان، والأوطان، فجزاك الله يا سيدي الطالب الساسي عن كل التضحيات التي بذلتها من أجل خدمة كتاب الله، ودينه، ووطنك خيرا، مما يدعونا للقول: بأنه بمثل هذا البذل المتميز، يظهر معدن الرجال، ويتعرف على الذهب الإبريز منه.

ألغازه في علوم القرآن

لقد كان الطالب الساسي يحب منظومات الشيخ محمد بن إبراهيم الدنفاسي في علوم القرآن، بل كان يحفظها عن ظهر قلب، وكان كثيرا ما يستخدمها في طرح الألغاز على طلبته، هادفا من ذلك إلى حثهم على حفظها بطريقة غير مباشرة حيث كان يورد هذه الألغاز على شكل أسئلة، كما في الأمثلة الآتية:

1 ـــ: كم وردت " أعينَهم " بنصب النون في القرآن الكريم ؟: وكان يعطي طلبته مهلة للتفكير، ثم يجيبهم بما ورد في نظم الشيخ الدنفاسي، الذي يقول فيه:

أعينَهم بالنصب لامزيده في المائدة[1] واقترب البعيدة[2]

2ـــ أين وردت " ابن أم " منفصلة في رسمها، و " ابنؤم " متصلة في القرآن الكريم؟: ثم يبين ورود كل منها مرة واحدة، كما في المتن:

---

(1)في قوله تعالى: " وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. "، المائدة: 83.

(2)في قوله تعالى: " وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ. "، القمر: 37.

وكتبوا ابن أم في الأعراف[1] منفصلا جاء بلا خلاف

وكتبوا في طه[2] يبنؤم متصلا بالواو يا من أما

3 ـ: كم وردت " بيئكم بكسر النون في القرآن الكريم ؟: ثم يجيب بقول الشيخ الدنفاسي رحمه الله تعالى:

وبيئكم بالكسر قل يا تالِ في سورة العقود[3] والأنفال[4]

4 ـ: كم وردت " بيني وبينك بكسر النون " في القرآن الكريم ؟: ثم يورد الجواب من منظومة الشيخ الدنفاسي:

بيني وبينك بكسر النون في فصلت [5] والكهف[6] خذ فنوني

5 ـ: كم وردت " اللعب قبل اللهو " في القرآن الكريم ؟: ثم بعد انتهاء السبابة المعطاة للطلبة يجيب من المنظومة:

اللعب قبل اللهو في القرآن . أربعة أتوا على البيان

في سورة الحديد[7] والقتال[8] واثنان في الأنعام[9] بالكمال

(1)في قوله تعالى: " وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. " الأعراف: 150.

(2)في قوله تعالى: " قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ". " طه: 94.

(3)في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ. " المائدة: 106.

(4)في قوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. ". الأنفال: 1.

(5)في قوله تعالى: " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ " فصلت: 5.

(6)في قوله تعالى: " قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا. " الكهف: 78.

(7)في قوله تعالى: " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ. " الحديد: 20

(8)في قوله تعالى: " إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ. ". محمد: 36.

(9)في قوله تعالى: " وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. ". الأنعام: 32. وقوله: " وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. ". الأنعام: 70.

6 ـــ: كم وردت " اللهو قبل اللعب " في القرآن الكريم ؟: ثم بعد انقضاء مدة التفكير الممنوحة للطلبة يجيب من المنظومة:

اللهو قبل اللعب لا تفوت في سورة الأعراف ثم العنكبوت

بهذه الطرق البيداغوجية الناجعة: الهادفة إلى ترسيخ المعلومات في أذهان الطلبة، وكذا حثهم على حفظ المنظومات العلمية: والتي قديما قيل بشأنها: من حفظ المتون حاز الفنون، كان الطالب الساسي يدرس طلبته، مشجعا لهم على حفظ، ومذاكرة العلم النافع، ليعد منهم علماء ربانيين، يتقاطرون علما، ومعرفة وتميزا، ونبوغا.

(1)في قوله تعالى: " الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. " **الأعراف**: 51.

(2)في قوله تعالى: " وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ". العنكبوت: 64.

تطبيقه للطرق البيداغوجية الحديثة في التدريس

كان رحمه الله تعالى يطبق بعض الطرق البيداغوجية الحديثة في تدريسه، وذلك استشعارا منه بضرورة إبعاد الطلبة عن الملل، والكلل، فكان بين الفينة والأخرى يوقف التدريس لوقت مستقطع، ويختار بعض الطلبة، للقيام بالمصارعة، وكأنه يريد لطلابه المزاوجة بين الغذاء الروحي، والسلامة البدنية، إذ بمثل هذه الطرق يتجدد نشاط الطلبة، وتتقد أذهانهم، وتنشرح صدورهم من جديد للحفظ والتلقي، والمذاكرة، والإبداع.

وفي أحايين أخرى يلجأ إلى إيقاف التدريس لمدة عشر دقائق، ليطرح خلالها سؤالا ما على طلبته، كسؤاله إياهم مثلا، كم من مرة تكررت جملة الحي القيوم في كتاب الله تعالى ؟، ثم ينتظر الإجابة، فإذا لم يتمكنوا من ضبط العدد بدقة، يتدخل ليجيبهم بأنها وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم، ثم يبين لهم مواطن ورودها فيخبرهم بأنها جاءت في البقرة في قوله تعالى: " اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. " (1) وآل عمران، في قوله عز وجل: " الم اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ

(1) البقرة: 255.

الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. "[1]، وطه، في قوله تعالى: " وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا. "[2]

وأحيانا يسألهم: كم وردت " يا أيها الذين كفروا " في القرآن الكريم، وبعد سماعه لمحاولاتهم، يجيبهم بأنها وردت مرة واحدة، في سورة التحريم، في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. "[3] وقد يستفسرهم عن موضع ورود الهمزة تحت الواو في كتاب الله، فيترك لهم برهة من الزمن للتفكير، ثم يجيبهم بأنها وردت مرة واحدة في سورة الواقعة، في قوله تعالى: " كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ. "[4]

وفي أحايين أخرى، يوقف الدرس لبضعة دقائق، يقرأ خلالها قول الله تعالى: " إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. "[5]، ثم يردد هو وطلبته دفعة واحدة هذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه:

الصلاة على بدر التمام ومصباح الظلام
ومفتاح دار السلام وشمس دين الإسلام
سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام

---

(1)آل عمران: 1 ـ 4.
(2)طه: 111.
(3)التحريم: 7.
(4)الواقعة: 23.
(5)الأحزاب: 56.

وهكذا، وبهذه الطرق البيداغوجية المثالية، والمحفزة لهمم طلبته، والمبعدة إياهم عن الروتين المألوف، تتجدد طاقاتهم، وتشحذ هممهم، لينطلقوا في ساحات التحصيل العلمي الفسيحة الشطآن، والوارفة الظلال، وليعبوا من معين العلم الزلال.

إسهامه في محو الأمية

لم يكن رحمه الله يكتفي بالدروس المنتظمة لطلابه، وإنما كان يعطي من وقته النفيس شطرا لفئة الكبار من أبناء قريته، الذين فاتهم قطار الطلب، وذلك لظروف استدمارية مقيتة، ومعيشية صعبة، اضطرتهم إلى أن لا ينتظموا ضمن قوافل طالبي العلم، فكان الطالب الساسي يخصص لهم أوقاتا مسائية لمحو أميتهم، حيث كان الكثير منهم يدفعه لذلك رغبته الجامحة، وحبه الغامر، للوصول إلى القدرة على قراءة القرآن من المصحف الشريف، وقد تحقق للكثير منهم ما أرادوه، وما كانوا يصبون إليه، فضلا عن رغبة بعضهم في الحفاظ على الأسرار العائلية الخاصة بهم والتي ترد في الرسائل التي كانت تصلهم من أقاربهم وذويهم، المقيمين خارج الوطن، والتي غالبا ما يتحرج الكثير منهم من اطلاع الغرباء عليها، هذه الرسائل التي بفضل جهود الطالب الساسي التعليمية صاروا يقرؤونها بمفردهم، ودون اللجوء إلى أحد، وهذا بعد محو أمية الكثير منهم.

تمسكه بمدرسته القرآنية رغم كبر سنه

لقد مكث الطالب الساسي يدرس طلبته قرابة السبعين عاما، وقد تقدمت به السنون، وأحس ابنه الطالب محمد، المجاور له في المسكن، أنه اعتراه التعب والضعف الجسدي، فاقترح عليه من باب الشفقة والعطف أن يتوقف عن التدريس، فتأمله مليا، وقد كان ابنه محمدا تاجرا معروفا بومها، وقال له: ياولدي حينما تغلق أنت دكانك، وتترك تجارك، التي تجني منها الأرباح، أتوقف أنا عن التدريس، الذي هو أفضل من تجارتك، لأنك يا محمـــــــــــــد يا ولدي أنت تتاجر مع البشر، وهي تجارة غير مضمونة، معرضة للربح والخسارة، أما أنا فأتاجر مع الله، تجارة لا وكس فيها، ولا شطط، ولا كساد، ولا بوار، حيث الحسنة فيها بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فما كان من ولده إلا أن قبل رأسه معتذرا، مبررا له أن الذي دعاه لذلك هو شفقته عليه، واعدا إياه ألا يعود لمثل اقتراحه هذا ما بقيت فيه عين تطرف، وشريان ينبض، ونَفَس يصعد، وبالفعل نفذ الشيخ الساسي ما اقتنع به، إذ لم يتوقف عن التدريس إلا ثلاثة أيام قبل وفاته، فرحمه الله في الخالدين.

شدته مع أبنائه وطلابه في طلب العلم

لقد كان الطالب الساسي شديدا مع طلبته في التحصيل العلمي، فلا يتسامح مع من يصل لمحضنة الدرس متأخرا، حيث يكون جزاؤه الضرب بالفلاقة[1]. إذا تكرر منه ذلك، والأمر نفسه يطبق على من لا يحفظ جزء القرآن المنوط به في ذلك اليوم، ومن الطرائف التي وقعت بسبب شدّته، وخوف طلبته من ذلك أن تلميذه: عبد الله غنامي ألف قصيدة من الشعر الملحون يبرز فيها خوفه من شيخه، يقول في بعضها: " راسي قاسي، ما نقراشي عند الساسي. "، وقد بلغت به شدته مع ابنه العلامة الطالب أحمد، أن أنزله إلى قعر البئر لما تراخى يوما في حفظ ما دون على لوحه الخشبي، ومنذ ذلك اليوم لم يلاحظ أي تقاعس على الطالب أحمد في حفظ ما كلف بحفظه، بل وتوج ذلك بختمه لكتاب الله، وعمره ثماني سنوات، وهو اليوم قد بلغ 107 من السنين الميلادية، و111 من الأعوام الهجرية، بمعنى أنه منذ ما يربو عن قرن من الزمان، وهو يتلو القرآن الكريم آناء الليل، وأطراف النهار ختاما إياه أكثر من عشرة آلاف ختمة، وهو ما زال لحد الآن يختمه مرتين في الأسبوع رغم سنه المتقدم جدا، كما يروي أنه ما زالت تصحبه رهبة شدة والده معه في حفظ كتاب الله

---

(1) وهي عبارة عن عصا خشبية، يربط بها حبل في طرفيها، وتدخل بين الحبل والعصا رجلا من يخل بحفظ جزئه المقرر حفظه في ذلك اليوم، ثم تدار العصا حول الحبل من طرف بعض طلبة الشيخ، بحيث لا يمكن للطالب الهرب، أو التفلت من العقاب، ليسهل عندها على الشيخ ضرب هذا الطالب المقصر بدرته التي لا تغادر يده، والذي غالبا ما يكون هذا العقاب رادعا لصاحبه عن التهاون في الحفظ مرة أخرى.

إلى يومنا الحاضر، ومما يرويه أيضا أن مقياس الحفظ عند الطالب الساسي، هو أنه حينما يكون أحد طلبته نائما، ويضرب بعصاه تاليا قول الله تعالى: " وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا. " (1)، فيقوم الطالب فزعا، قائلا دون تردد: " طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ " (2)، هذا هو مفهوم الحفظ عنده، مما يجعلنا نقول: ما أجداها من طريقة رغم ما يلفها من حزم، وما يحوطها من شدة، كما يجدر بنا هنا أن ننوه بطينة آباء ذلكم الزمن البهي، الذي كان فيه الوالد لا يستطيع أن يحتج على الشيخ إذا ضرب ابنه، بل إذا علم بذلك يفزع مباشرة لضرب ابنه مرة أخرى، حيث لا يتطرق لذهنه أدنى ريب في أن ما فعله الشيخ هو الصواب عينه، وأنه يصب في مصلحة ابنه، وبهذه الثقة المتبادلة بين الشيخ وأولياء الأمور، نتج جيل متشبع بالقيم السامية، ومتشرب للعلوم النافعة، ومقدر للمسؤوليات الملقاة على عاتقه، تجاه أساتذته، وأوليائه ودينه، ووطنه.

(1) مريم: 98.

(2) طه: 1 ــ 2.

نماذج لفتاواه الجريئة

لقد تصدى لبعض القضايا النازلة برباطة جأش، وصلابة موقف، وثقابة فكر مع جرأة في الطرح، ومن ذلك:

1 ــ فتواه بنزع الذهب المغلف لأسنان الميت بعد موته، بل وحتى بعد دفنه وذلك لكون هذا الذهب مالا متقوما، لم يعد مملوكا للميت، وإنما انتقل للورثة فوجب نزعه حفاظا على حق الورثة، لا سيما إذا كانوا صغارا.

2 ــ فتواه لمن ترك الصلاة والصيام عامدا مدة خمسين عاما، بعدم قضاء الصلاة، مخالفا مذهبه المالكي، وبعدم قضاء الصيام، وكذا عدم الإطعام، وذلك لأنه رأى أن تركه لهما عامدا يوصله إلى درجة الكفر، ولما تاب، وأصبح يصلي ويصوم اعتبره كأنما دخل الإسلام من جديد، والإسلام يجب ما قبله.

تأثره لموت العلماء

لقد كبرت سن الطالب الساسي، ورقّ عظمه، وضعفت قواه، فلم يعد يقوى على الأسفار والتنقلات، كما كان في ريعان شبابه، إذ في سنة: 1968 م التحق بالرفيق الأعلى العالم النحرير، الشيخ الطاهر العبيدي، بمدينة تقرت، التي وفد إليها من مدينة الوادي، فاحتضنه أهلها إماما، ومدرسا، ومرشدا، وواعظا، وكان الطالب الساسي يومها قد بلغ السادسة والثمانين عاما من عمره، ومدينة تقرت تبعد عن مقر سكناه بحوالي مائة كلم، فلم تؤهله ظروفه الصحية لحضور الجنازة فتأثر لذلك تأثرا

بالغا، وبقي يردد، لقد أضعنا قيراطين من الأجر، والقيراط مثل جبل أحد، لأن من صلى على جنازة، فله قيراط من الأجر، ومن صلى عليها وتبعها حتى تقبر، فله قيراطان من الأجر، والقيراط مثل جبل أحد، ورغم عدم تمكنه من حضور جنازة صديقه الشيخ الطاهر العبيدي إلا أنه لم يتقاعس عن أداء واجب العزاء، فأرسل ابنه محمدا لمدينة تقرت، حيث حضر مراسيم الجنازة، التي ألقى فيها مفتش التربية والتعليم، ورئيس البلدية يومها الأستاذ معاذ إدريس كلمة تأبينية مؤثرة، ليقوم بعدها الطالب محمد سلمان ولد الشيخ الساسي بواجب العزاء في الفقيد، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على الوفاء لصديقه حيا، وميّتا وكذا على روح الأخوة المتجذرة في كيان الطالب الساسي رحمه الله تعالى.

وهنا، وإنصافا لأهل تقرت المغاوير، الصناديد، المقدّرين لمكانة العلم وأهله نقول: إنه لما التحق الشيخ الطاهر العبيدي بالرفيق الأعلى، ذهبت جموع تشبه السيول المتدفقة لمدينة تقرت من أجل نقل جثمان الفقيد، ليدفن في مدينة الوادي لكن أهل تقرت رفضوا ذلك، وأصروا على دفنه بمدينة تقرت، التي أحبها، وقضى فيها من عمره سنين عددا، وكادت أن تقع فتنة نكراء بين سكان البلدتين، لو لم يسخر الله لحلّ هذه المشكلة جمعا من عقلاء الطرفين، ليستقر بهم الحال على دفنه بمدينة تقرت، نزولا عند رغبة أسرته، وعلى رأسهم ابنه المكي، الذي استوطن مع أسرته مدينة تقرت، ليسدل الستار على حب الجزائريين للعلم وأهله فما أنبله من موقف من كلا الطرفين، رغم ما شابه من نزاع، وخلاف، الدافع لهما النوايا الحسنة، وحب العلم والعلماء.

تضلعه في علم الفرائض

لقد كان الطالب الساسي، يقوم متطوعا بوظيفة الموثق، في تقسيم التركات والمواريث التي تطرح عليه، من قبل أبناء بلدته، والتي تأخذ من وقته النفيس زمنا ليس بالقليل، لا سيما إذا تعلق الأمر بتقسيم بعض العقارات والأراضي الفلاحية التي تأخر تقسيمها لعدة عقود، وغالبا ما يموت فيها الورثة المباشرون، لينتقل نصيبهم لورثتهم، وقد يصل عدد الورثة، إلى العشرات بل إلى المئات في بعض المسائل، وهذا بسبب تأخير القسمة عن زمن موت المورث، مما يجعل الطالب الساسي يمكث في حلّها زمنا طويلا، كما أنه للدلالة على تعمقه، وتضلعه في حلّ مسائل الميراث أنه تناقش مع بعض أقرانه من معاصريه في حل مسألة من مسائل الفرائض، حيث تشبّث كلّ منهما بصحة حلّه للمسألة، مما دعاهما للاستنجاد بعلماء الزيتونة، وبعد أزيد من شهر وفد عليهما الرد من الزيتونة العامرة يومها وكان تقسيم التركة كما قال الطالب الساسي، كما أنه كان يتناقش بعد الاستقلال مع طلبة المعهد الإسلامي في العديد من قضايا التركات والمواريث، وكان غالبا ما يبزّهم، ويبذّهم، ويتفوق عليهم في سرعة حلّ المسألة المطروحة، وأحيانا تدعوه وظيفته كأستاذ إلى توبيخ المقصرين من طلبة المعهد، الذين يلمس فيهم عدم التمكّن من هذا العلم الجليل.

ومما يجب الإشادة به هنا أنه كان لا يتقاضى على تقسيمه للتركات فلسا واحدا، وإنما يقوم بذلك لوجه الله تعالى، مما يجعلنا ننوه بصنيعه المحمود وندعو الورثة

إلى التعجيل بقسمة التركة، وذلك حفاظا على الحقوق، وعدم تأخر وصولها إلى أصحابها، الذين قد يكونون في أمس الحاجة إليها، وقد يمنعهم الحياء من المطالبة بها.

تشجيعه على قراءة الحزب الراتب جماعة

لقد كان الطالب الساسي رحمه الله من المشجعين على القراءة الجماعية للقرآن الكريم، لاعتقاده أنها ترسخ حفظه في الأذهان، وتدرب حفظته على سرعة استظهاره، وتدفع الطلبة على التنافس في تلاوته، وتتيح الفرصة للعوام لسماع كتاب الله، بل كان لا ينعقد شمل حلقة القراءة الجماعية للحزب الراتب إلا بحضوره، يدفعه لذلك ما أسلفنا ذكره من المقاصد الحسنة، المرجوة من هذه التلاوة.

غير أن ما يجب طرقه في هذه الحيثية، خاصة في هذه الأزمنة المتأخرة التي صرنا نسمع فيها بأن القراءة الجماعية للقرآن الكريم محظورة، وأنها غير جائزة، بل هناك من ذهب إلى كونها بدعة، مما دعانا لهذا الاستطراد المحمود، قصد بيان رأي بعض أعلام الموقعين عن الله تعالى في هذه القضية، لا سيما من علماء المذهب المالكي.

نقول: إن قراءة الجماعة للقرآن في حزب راتب مستحبة، وهو الذي عليه صنيع أبي الدرداء[1] وقال به الأئمة: النووي[2] من الشافعية، ومحرز بن خلف التونسي

(1) ـ ابن عساكر: تاريخ دمشق: 2 / 49 ـ 50.

(2) ـ النووي: التبيان. 57.

والمازري [1]، وابن أبي زيد القيرواني، وأبو الحسن القابسي [2] والباجي [3] وابن عبد [4] من علماء المالكية.

وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده" [5]

ولما نقله ابن أبي داود من فعل أبي الدرداء له، وهو صحابي جليل، وكان يجتمع في حلقة إقرائه بمسجد دمشق ألف وستمائة قارئ فعمد إلى تقسيمهم إلى فئات. وجعل على كل مائة عريفا، وعلى كل عشرة عريفا، وكان يعرض عرفاء المئات. دفعة واحدة، فإذا فرغوا من العرض ذهبوا إلى حلقاتهم فعرض عليهم عرفاء العشرة. ثم إذا فرغوا عرض على عرفاء العشرة من تحتهم كلهم على هذه الكيفية، وكانوا يطلقون على ذلك اسم الدراسة. [6]

كما نقول: إن ما نسب للإمام مالك أنه كره ذلك، واعتبره ليس من أمر الناس

---

(1). الشوشاوي: الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة. 237 .

(2). الونشريسي: المعيار. 11/ 169.

(3). المنتقى 1 / 345.

(4). المعيار: 1 / 155 - 156 .

(5). مسلم: الجامع الصحيح، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم: 4996 .

(6). ابن عساكر: تاريخ دمشق 2 / 49 ـ 50.

تقديم. فهو واقع على غير محله. فالإمام مالك لم يقل ذلك بخصوص القراءة الجماعية للقرآن الكريم، وإنما قال: وأكره أن يقرأ في المصحف في المسجد جوابا عن سؤال يتعلق بصنيع الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي ألزم بقراءة عشر آيات من المصحف في المسجد يوم الجمعة بين يدي السلطان[1]، وهذا فعلا لم يكن من صنيع السلف، مما يجعلنا نقول: إن الإمام مالكا لم يكن قوله موجها للقراءة الجماعية أصلا، وإنما هو جواب عن حادثة بعينها، مما يجعلنا نقول: إنه لمن أجل المقاصد نقول باستحباب القراءة الجماعية للقرآن الكريم، لاسيما في هذه الأزمنة التي هجر فيها كثير من الناس لتلاوة القرآن العظيم، وسماعه، ومذاكرته، ولاشك أن هذا هو الدافع الذي حدا بالطالب الساسي سلمان لأن يحث على المواظبة على هذه القراءة الجماعية، خدمة لكتاب الله، وأكرم بها من خدمة، وأعظم بها من فضيلة، وأجمل بها من حسنة ذكر تحفها الملائكة، وتغشاها السكينة، وتتنزل عليها الرحمات.

---

(1) الونشريسي: المعيار. 11 / 114.

تجسيده للنظام الداخلي ونصف الداخلي في مدرسته

كان الطالب الساسي من الأوائل الذين جسدوا كلا من النظامين الداخلي ونصف الداخلي بمدرسته العامرة، إذ كان يتكفل باستقبال أبناء الرّحل، الذين يقوم بإيوائهم، وإطعامهم من ماله الخاص، وبالأحرى مما يجنيه من تمر نخيله الذي سخّر ثماره لاحتياجات الطلبة، وقد أنتج هذا النظام تخرّج عدد لا بأس به من أبناء الرّحل، حيث حفظوا على يديه كتاب الله، وتشربوا جملة من المعارف الدينية، منهم الإمام: عون بن ناجي، والشهيد: بلخير بلحسن، والسيد عبد القادر ضو، وغيرهم كثير.

وفي المقابل اعتمد نظام نصف الداخلي لطلبته، الذين يضطرهم بعد المسافة عن مقار سكناهم أن يعودوا إلى مساكنهم بعد الدوام الصباحي، فيتكفل الطالب الساسي بفطور صباحهم، الذي غالبا ما يأتي به بعض طلبته، الذين ختموا القرآن أو أنهوا حفظ بعض أحزابه، ليتناولوا بعدها وجبة الغذاء، التي تسمى بالمنطقة بالفطور، ليكملوا بعدها يومهم الدراسي إلى ما بعد العصر، لينصرفوا بعدها إلى بيوتهم راشدين، فجزاك الله ياسي الطالب الساسي عن كل لقمة وقعت في فم دارس للقرآن خير الجزاء، وأجزل لك المثوبة والعطاء، وأطعمك من ثمار الجنة التي أكلها دائم، وظلها، وما ذلك على الله بعزيز.

تعيينه للأئمة من طلبته في مساجد قرى مدينة الوادي

لقد كان يسعى لعمارة المساجد، كيف لا، وهو الذي يتردد على لسانه قوله تعالى: " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. "(1)، حيث عين من طلبته كأئمة فيها كلا من علي منانة بمسجد قرية لقطوطة، ومعمر فردية بمسجد قرية لحفر، المعروفة بنزلة محده، وسي لخضر بالقط بمسجد حي المراغنية، وسي لزهار بالقط بمسجد الفرجان سابقا، الهداية حاليا، وسي ميلود بن عامر بمسجد أولاد أحمد بالقرب من مدخل وسط المدينة، وسي ميلود لمقيرحي بمسجد قرية الرقيبة، التي تبعد عن وسط مدينة الوادي بحوالي ثلاثين كيلو مترا.

نقول: بأمثال هؤلاء الخريجين عمرت مساجد كثير من القرى والمداشر بالذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي العدنان.

(1) ـ التوبة: 18.

تشجيعه على إرسال البعثات الطلابية لإتمام الدراسة بالخارج

ما أن يحفظ التلميذ عنده كتاب الله تعالى، ويلمّ بجملة من المعارف الأخرى في العلوم المختلفة، لاسيما الفقهية، واللغوية منها، يوجهه الطالب الساسي إلى طلب الاستزادة العلمية، حيث يطلب من أوليائهم إرسالهم للدراسة بتونس، التي كانت تزخر بمحضنة العلم بنفطة بالجريد، وبجامع زيتونتها المعمور، الذي كان يضم يومها ثلة من نوابغ المدرسين في العالم الإسلامي، من أمثال الشيخ الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الأعظم، والشيخ النخلي، وشيوخ كثر من عائلات كل من النيفر، وجعيط، وبالخوجة، وكان من ضمن الطلبة الذين شجعهم على مواصلة الدراسة بالشقيقة تونس، ابنه المعمر: الطالب أحمد، وسي لخضر بالقط، والشيخ: ميلود بن عامر، والأستاذ: عبد الحفيظ بالقط، شقيق علامة الوادي، ومفتي الديار السوفية، الشيخ الجليل، تحفة العصر، ودرة الزمان، عبد الكريم بالقط والأستاذ: الهاشمي هويدي، خريج جامع الزيتونة، وغيرهم كثير، ممن نرجو من الله أن ينيله بكل حرف درسوه حسنة، وبكل نفع صدر منهم كرامة، وأن يكون صنيعه ذلك من العلم المبثوث الذي ينتفع به أستاذهم الشيخ الساسي، وهو في قبره، آمين، يارب العالمين.

كتب كان الطالب الساسي مولعا بدراستها

وهي متعددة منها:

أولا ـ الرسالة: للإمام الفقيه العلاّمة أبي محمد: عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي[1].

والنفزي: نسبة إلى قبيلة نفزة، أو نفزاوة، وقيل نسبة إلى نفزة، وهي مدينة بالجنوب التونسي.

أمّا القيرواني فنسبة إلى مدينة القيروان التونسية، والقيروان كلمة فارسية، وذلك أنّ قافلة من قريش أقبلت من مكة تريد أرض طليطلة، فنزلت بعض صحاريها فقال القوم: كاروان آمد، أي يريدون أن يقطعوا عليها، فعرّب: كاروان، فقيل: القيروان وقيل سميت القيروان بذلك نسبة إلى القيروان بن مصر بن حام بن نوح ـ عليه السلام[2].

وتعد الرسالة زبدة وخلاصة الفقه المالكي، وهي موجهة للأطفال كما سنوضحه فيما سيأتي:

لقد سأل الشيخ محرز بن خلف التونسي الإمام ابن أبي زيد القيرواني تأليف رسالة مختصرة في الفقه المالكي تكون عونا لطلاب العلم على استيعاب

---

1 - شجرة النور الزكية 96، والديباج المذهب 136، وتاريخ الأدب العربي 4/ 307، ودائرة المعارف الإسلامية 1/ 80، ومعجم المؤلفين 6/ 73.

2 - الأنساب 4/ 573، واللباب 3/ 69، ومعجم البلدان 4/ 476 ـ 477.

مسائل المذهب، فاستجاب لذلك، وهو يومئذ لم يجاوز السابعة عشر من عمره كما كانت أول تأليف له [1]. فردّ على محرز بن خلف بقوله:

"أمّا بعد ـ أعاننا الله وإيّاك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه فإنّك سألتني أن أكتب إليك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة، وتعتقده القلوب، وتعمله الجوارح، مع شيء من الآداب منها وجمل من أصول الفقه، وفنونه على مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ ذلك لما رغبت فيه من تعليم ذلك للوُلدان كما تعلّمهم حروف القرآن، نيسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله، وشرائعه ما ترجى لهم بركته، وتحمد لهم عاقبته فأجبتك إلى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علّم دين الله أو دعا إليه.

وأعلم أنّ خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عني به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها، وتنبيههم على معالم الديانة، وحدود الشريعة ليراضوا عليها، فإنه رُوي أنّ تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر، وقد مثلت لك من ذلك ما ينتفعون إن شاء الله بحفظه، ويشرفون بعلمه، ويسعدون باعتقاده والعمل به..." [2].

---

1 - شجرة النور الزكية 96.

2 - تاريخ الأدب العربي 4/ 308.

وقد انتهى - رحمه الله تعالى - من تأليفها عام: 327 هـ الموافق لـ 939م [1] وقد جعل الله لها القبول في الأرض، فوقع التنافس في اقتنائها، حتى كتبت بماء الذهب [2]، كما اهتم العلماء والدارسون بهذه الرسالة فكثرت تعليقاتهم وشروحهم لها، ومن ذلك:

1 - شرح عبد الله به طلحة (ت 518 هـ).

2 - شرح جلال الدين التباني.

3 - شرح أبي حفص عمر بن علي بن سالم اللخمي الاسكندري الشهير بابن الفاكهاني المالكي (ت 731 هـ) وسماه: "التحرير والتحبير" (3).

4 - شرح الشيخ عبد المجيد الشرنوبي المسمى بـ: "تقريب المعاني" والذي طبع في بولاق سنة: 1314هـ.

5 - شرح الرسالة لأبي عبد الله: محمد بن قاسم جسوس، والذي طبع في أربعة أجزاء بمدينة فاس سنة: 1312هـ.

6 - شرح الرسالة لأبي الحسن: علي بن محمد المنوفي الشاذلي (ت939هـ) والمسمى بـ "كفاية الطالب الرباني".

7 - حاشية على شرح كفاية الطالب السابق الذكر لعلي بن أحمد بن مكرم

---

1 - دائرة المعارف الإسلامية 1/ 80.

2 - شجرة النور الزكية 96.

3 كشف الظنون 1/ 841.

العدوي الصعيدي (ت1189 هـ) (1).

8 ـ الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ: صالح عبد السميع الآبي الأزهري، طبع بمكتبة رحاب الجزائر.

9 ـ فقه الرسالة متنا ونظما وتعليقا للدكتور الهادي الدرقاش، طبع بدار قتيبة بيروت.

10 ـ شرح زروق على متن الرسالة للشيخ: أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق (ت899 هـ)، طبع دار الفكر بيروت.

11 ـ الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي (ت1125 هـ) طبع بدار الفكر بيروت.

12 ـ المعرفة في شرح الرسالة للقاضي عبد الوهاب المالكي (ت 422 هـ).

بعدما أوردنا بعض شروح رسالة ابن أبي زيد القيرواني يجدر بنا هنا أن نشير إلى أنها لقيت اهتمام كثير من المستشرقين، كما ترجمت لعدّة لغات، إذ نشرت في باريس مقرونة بترجمة للفرنسية أشرف عليها المستشرق فانيان مع مجموعة من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس وذلك في سنة 1914م.

كما طبعت مع ترجمة للإنجليزية في لندن سنة 1906م إذ أشرف على طبعها ونشرها كلّ من الاستاذين: رسّل وسهروردي[2].

---

1 – هامش سير أعلام النبلاء 17/ 11.

2 – تاريخ الأدب العربي 4/ 308.

هذا فضلا عن طبعاتها التي لا تحصى عدا، إذ طبعت بفاس، والقاهرة وباريس ولندن، وبيروت، وتونس، والجزائر وغيرها من أسقاع المعمورة.

ثانيا: مختصر خليل بن إسحاق بن موسى، الجندي ضياء الدين، أبو المودة، المالكي، المصري المتوفى سنة: 767 هـ / 1374 م)[1]

هذا المختصر الذي كتب الله له القبول، فتلقاه الناس حفظا، وتدريسا، وشرحا، والذي سنتكلم عنه بإيجاز من خلال الآتي:

1 ـــ **سبب تأليفه لمختصره، وبيانه للرموز المستخدمة فيه:** يقول الشيخ خليل في مقدمة كتابه: "فقد سألني جماعة أبان الله لي ولهم معالم التحقيق وسلك بنا وبهم أنفع طريق مختصرا على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى مبينا لما به الفتوى فأجبت سؤالهم بعد الاستخارة مشيرا بـ"فيها" للمدونة وبـ"أول" إلى اختلاف شارحيها في فهمها وبـ "الاختيار" للخمي لكن إن كان بصيغة الفعل فذلك لاختياره هو في نفسه وبالاسم فذلك لاختياره من الخلاف وبـ"الترجيح" لابن يونس، كذلك وبـ"الظهور" لابن رشد كذلك وبـ"القول" للمازري كذلك وحيث قلت: "خلاف" فذلك للاختلاف في التشهير وحيث ذكرت قولين أو أقوالا فذلك لعدم مختصر اطلاعي في الفرع على أرجحية منصوصة وأعتبر من المفاهيم مفهوم الشرط فقط وأشير بـ"صحح" أو

---

1 - ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 2 / 207. ، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1/ 321.

"استحسن" إلى أن شيخا غير الذين قدمتهم صحح هذا أو استظهره وبـــ"التردد" لتردد المتأخرين في النقل أو لعدم نص المتقدمين وبـــ"لو" إني خلاف مذهبي . بالله أسأل أن ينفع به من كتبه أو قرأه أو حصله أو سعى في شيء منه والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا في القول والعمل ثم أعتذر لذوي الألباب من التقصير الواقع في هذا الكتاب وأسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن ينظر بعين الرضا والصواب فما كان من نقص كملوه ومن خطأ أصلحوه فقلما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات. "

2 ـــ وصف مختصره: المختصر هو آخر مؤلفات الشيخ خليل، مكث في تحريره أزيد من عشرين سنة، وهي فترة زمنية عادة ما تُخصص للمطولات من أمهات الكتب، وبقاء المؤلف مدة مثل هذه، دليل على شدّة حرصه وتوخيه الدقة العلمية في جمع أحكامه وتنظيمها، ولذا جاء مقتضبا في ألفاظه، دقيقا في مصطلاحاته، جامعا لمعظم أمّهات مسائل الفقه المالكي.[1].

3 ـــ بعض شروحه: له شروح كثيرة منها شرح كل من تلاميذه:

عبد الخالق بن على بن الفرات (ت794هـ، وبهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري تاج الدين ت805 هـ الذي وضع عليه ثلاثة شروح: الصغير المسمّى بالدرر، والشرح الأوسط والكبير، وخلف بن أبي بكر بن أحمد النحريري (ت818 هـ، وجمال الدين بن عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسي (ت 823

1- www. feqhweb. com/vb/t11177 .

هـ، ويوسف بن خالد بن نعيم البساطي (ت829هـ، الذي سمى شرحه لمختصر خليل بـــ: " الكفء الكفيل. "[1].

وزيادة عما ذكرنا من شروح تلاميذه، فإنه قد أحصى الباحثون له أزيد من مائة شرح منها[2]:

1 ـــ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمختصر الشيخ خليل للدردير.

2 ـ نور البصر في شرح المختصر: وهو: شرح مفصل على مختصر خليل لكنه غير تام، ألفه العلامة المشارك أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، (ت 1175هـ)

3 ـــ الإكليل شرح مختصر خليل: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشَّبَاوي المالكي الأزهري المشهور بالأمير، المالكي المغربي الأصل(ت1232هـ).

4 ـــ الشرح الصغير للخرشي على مختصر سيدي خليل.

5 ـــ حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل، والمسماة: بـــ: أوضح المسالك وأسهل المرَاقي إلى سَبْكِ إبريز الشيخ عبد الباقي، والذي اشتهر بحاشية الرهوني، لأبي عبد الله مَحَمَّد ـ بفتح الميم الأولى ـ بن أحمد الرُّهوني (ت1230هـ).

6 ـــ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد

---

1 - www. feqhweb. com/vb/t1177.
2 - www. almarkaz. ma/Article. aspx?C=5809.

الرحمن الرعيني المغربي الشهير بالحطاب (ت954هـ).

7 ـــ إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي على مهمات من مختصر خليل، للشيخ باي بلعالم، ضمن الكتب التي اهتمت بشرح أنظام مختصر الشيخ خليل، وهو شرح نظم الشيخ محمد بن بادي أحد علماء الصحراء الجنوبية (ت 1357هـ).

8 ـــ شفاء الغليل في حل مقفل خليل لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (المتوفى: 919هـ).

ثالثا ـــ **قصيدة مخارج الحروف للإمام ابن الجزري:** والتي كان الطالب الساسي يهتم بتلقينها وتحفيظها لطلابه، قاصدا من ذلك: تقويم ألسنتهم، ومخارج حروفهم، تهيئة لهم للقراءة السليمة لكتاب الله عز وجل، والتي كان الطلبة يستظهرونها على الشيخ. كما يستظهرون آي القرآن، التي يدونونها في ألواحهم الخشبية، وهذه هي منظومة مخارج الحروف للإمام الجليل محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي العمري الشيرازي الشافعي، المكنى بأبي الخير، والمعروف، بابن الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر شمال سورية وهي حاليا جزء من الأراضي التركية(ولد سنة: (751هـ وتوفي سنة: 833هـ):

مَخَارِجُ الْحُرُوفِ سَبْعَةَ عَشَرْ ... عَلَى الَّذِي يَخْتَارُهُ مَنِ اخْتَبَرْ

فَأَلِفُ الْجَوْفِ وأَخَوَاهَا وَهِي ... حُرُوفُ مَدٍّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهِي

ثُـــمَّ لأَقْصَـــى الحَلْـــقِ هَمْـــزٌ هَـــاءُ ثُـــمَّ لِوَسْـــطِهِ فَعَـــيْنٌ حَـــاءُ

أَدْنَـــاهُ غَـــيْنٌ خَاؤُهَـــا والْقَـــافُ أَقْصَـــى اللِّسَـــانِ فَـــوْقُ ثُـــمَّ الْكَـــافُ

أَسْـفَلُ وَالْوَسْـطُ فَجِـيمُ الشِّـينُ يَـا وَالضَّـادُ مِـنْ حَافَتِـهِ إِذْ وَلِيَـا

اَلأَضْـرَاسِ مِـنْ أَيْسَـرَ أَوْ يُمْنَاهَـا وَالـلاَّمُ أَدْنَاهَـا لِمُنْتَهَاهَـا

وَالنُّـونُ مِـنْ طَرَفِـهِ تَحْـتَ اجْعَلُـوا وَالـرَّا لِدَانِيـهِ لِظَهْـرٍ أَدْخَلُـوا

وَالطَّـاءُ وَالـدَّالُ وَتَـا مِنْـهُ وَمِـنْ عُلْيَـا الثَّنَايَـا وَالصَّـفِيرُ مُسْـتَكِنْ

مِنْـهُ وَمِـنْ فَـوْقِ الثَّنَايَـا السُّـفْلَى وَالظَّـاءُ وَالسِّـذَّالُ وَسْـطَا لِلْعُلْيَـا

مِـنْ طَرَفَيْهِمَـا وَمِـنْ بَطْـنِ الشَّـفَهْ فَالْفَـا مَـعَ أَطْـرَافِ الثَّنَايَـا الْمُشْـرِفَهْ

لِلشَّـفَتَيْنِ الْـوَاوُ بَـاءٌ مِـيمُ وَغُنَّـةٌ مَخْرَجُهَـا الْخَيْشُـومُ

رابعا ــ **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، المعروف بمتن ابن عاشر على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى. للعلامة أبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري رحمه الله تعالى ، والذي كان الطالب الساسي يملي على طلبته كل يوم ثلاث ، أو أربع أبيات منه يكتبونها

أسفل اللوح، أي بعد، كتابة الشطر القرآني المعدّ للحفظ في ذلكم اليوم ويستظهرها في المساء مع ما كتب من القرآن في اللوح، هذا المتن الذي كان يوليه الشيخ أهمية كبرى، والذي لخص ابن عاشر ما ورد فيه في مقدمته، التي جاء فيها:

يَقُولُ عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ عَاشِرِ ... مُبْتَدِئًا بِاسْمِ الإِلَهِ القَادِرِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَنَا ... مِنَ العُلُومِ مَا بِهِ تَكَلَّفَنَا

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدِ ... وَءَالِهِ وَصَحْبِهِ وَالمُقْتَدِي

(وبَعدُ) فَالعَونُ مِنَ اللهِ المَجِيدْ ... فِي نَظْمِ أَبْيَاتٍ لِلأُمِّيِّ تُفِيدْ

كما أقول: وأنا مصنف هذا الكتاب: الأستاذ الدكتور: نصر سلمان، ما زلت أذكر، وأنا لم أتجاوز بعد الرابعة من عمري، أنني مما حفظته سماعا قواعد الإسلام من متن ابن عاشر، أيام كان يضعني جدي الطالب الساسي في حجره ويداعبني بقوله: " أنت الشيخ المشخشخ، وكّال الخبز المنفّخ. "، أيام كان يخصّني بما يفد إليه من بيض مسلوق، وفول مطبوخ، وحليب منضج، من حفظة بعض أجزاء القرآن، أو كله، فجزاه الله على ما أولانيه من حبّ، وعطف، وشفقة خير الجزاء، وهذه هي أبيات قواعد الإسلام، التي كنت قد حفظتها، والتي كان جدي يطرب لسماعها من

فمي غصة طريّة، وسبب إعجابه هو حفظي لها رغم صغر سني، إذ يطلب مني عرضها عليه، فأقول، وهو يضحك:

قَواعِدُ الإسلامِ خَمْسٌ وَاجِباتْ وَهْيَ الشَّهادَتانِ شَرْطُ البقِيَاتْ

ثُمّ الصَّلاةُ والزَّكاةُ في القِطاعْ وَالصَّوْمُ والحَجُّ على مَنِ اسْتَطاعْ

خامسا ــ منظومة تحفة الأطفال: للشيخ المقرئ: سليمان بن حسين بن محمد الجمزوري رحمه الله تعالى: لقد كان الطالب الساسي يعتمد في تدريسه أحكام الترتيل على منظومة: تحفة الأطفال، التي تحتوي على المبادئ الأولية، التي ينبغي أن يستوعبها الطالب في تجويد القراءة، وترتيلها، والتي تضم مُقَدِّمَةً، وأَحْكَامَ النُّونِ السَّاكِنَةِ وَالتَّنْوِينِ، وحُكْمَ النُّونِ وَالمِيمِ المُشَدَّدَتَيْنِ، وأَحْكَامَ المِيمِ السَّاكِنَةِ، وحُكْمَ لام (أل) وَلامِ الْفِعْلِ فِي المِثْلَيْنِ وَالمُتَقَارِبَيْنِ وَالمُتَجَانِسَيْنِ، وأَقْسَامَ المَدِّ، وأَحْكَامَ المَدِّ، وأَقْسَامَ المَدِّ اللازِمِ، وَخَاتِمَةً، والتي كان الطلبة يحفظون أبياتها الإحدى والستين عن ظهر قلب، والتي قال الناظم في مقدمتها:

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الغَفُورِ دَوْمًا سُلَيْمَانُ هُوَ الجَمْزُورِي

الْحَمْدُ لِلّهِ مُصَلِّيًا على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْ تَلا

وَبَعْدُ: هَذَا النَّظْمُ لِلْمُرِيدِ فِي النُّونِ والتَّنْوِينِ وَالمُدُودِ

سَمَّيْتُهُ بِـ«تُحْفَةِ الأَطْفَالِ» عَنْ شَيْخِنَا الْمِيهِيِّ ذِي الْكَمَالِ

أَرْجُو بِهِ أَنْ يَنْفَعَ الطُّلَّابَا وَالْأَجْرَ وَالْقَبُولَ وَالثَّوَابَا

سادسا: الألفية في النحو: لمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت سنة 672هـ): هذه الألفية، التي ضمت بين جنباتها: 1003 من الأبيات، وشغلت الناس على مر العصور، قراءة، وحفظا، وشرحا، وتدريسا، وقد كان الطالب الساسي يحث طلبته على حفظها، وكان رحمه الله تعالى كلما قرأ مقدمة ألفية ابن مالك، الذي جاء فيها:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ مَالِكْ أَحْمَدُ رَبِّي اللهَ خَيْرَ مَالِكْ

مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ الْمُسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَا

وَأَسْتَعِينُ اللهَ فِي أَلْفِيَّهْ مَقَاصِدُ النَّحْوِ بِهَا مَحْوِيَّهْ

تُقَرِّبُ الأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزِ وَتَبْسُطُ الْبَذْلَ بِوَعْدٍ مُنْجَزِ

وَتَقْتَضِي رِضَا بِغَيْرِ سُخْطِ فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِي

وَهُـــوَ بِسَـــبْقٍ حَـــائِزٌ تَفْضِـــيلاَ مُسْـــتَوْجِبٌ ثَنَـــائِيَ الْجَمِـــيلا

وَاللهُ يَقْضِـــي بِهِبَـــاتٍ وَافِـــرَهْ لِـــي وَلَـــهُ فِي دَرَجَـــاتِ الآخِـــرَهْ

كان يعروه الافتخار، ويعلو محيّاه السرور والحبور، ويقول لطلبته أتدرون من هذا ابن معطي، الذي ألّف ألفية في النحو قبل ابن مالك ؟، إنه جدّكم ابن معطي الزواوي، الجزائري، ثم يذكر لهم طرفة وقعت لابن مالك، حين بدأ في تصنيف ألفيته، إذ لَـمـــاَّ وصل لكتابة قوله: " فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِي "، جاءه ابن معطي في المنام، وقال له: " وَالْـــحَيُّ يَغْلِبُ أَلْفَ مَيْتِ ".

ولعه بحفظ الأشعار الجزلة

كان الطالب الساسي يحفظ الكثير من عيون أشعار العرب، وكان كثيرا ما يردد قصيدة: دع الأيام تفعل ما تشاء للإمام الشافعي، لاسيما حينما يشعر ببعض الضيق، هذه القصيدة التي حفظها عنه لكثرة تكراره لها بعض طلبته من أمثال: الطالب سي محمد سلمان، شفاه الله، والتي ورد فيها:

دع الأيـــام تفعـــل مـــا تشـــاء ... وطـــب نفســـا إذا حكـــم القضـــاء

ولا تجـــزع لحادثـــة الليـــالي ... فمـــا لحـــوادث الـــدنيا بقـــاء

وكن رجلا على الأهوال جلدا ... وشـــيمتك الســـماحة والوفـــاء

وإن كثـــرت عيوبـــك في البرايـــا ... وســـرك أن يكـــون لهـــا غطـــاء

تســـتر بالســـخاء فكـــل عيـــب ... يغطيـــه كمـــا قيـــل الســـخاء

ولا تـــرِ للأعـــادي قـــط ذلا ... فـــإن شـــماتة الأعـــدا بـــلاء

ولا تـــرج الســـماحة مـــن بخيـــل ... فمـــا في النـــار للظمـــآن مـــاء

ورزقك ليس ينقصه التأني ... وليس يزيد في الرزق العناء

ولا حزن يدوم ولا سرور ... ولا بؤس عليك ولا رخاء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواء

ومن نزلت بساحته المنايا ... فلا أرض تقيه ولا سماء

وأرض الله واسعة ولكن ... إذا نزل القضا ضاق الفضاء

دع الأيام تغدر كل حين ... فما يغني عن الموت الدواء

كما كان كثيرا ما يَعِضُّ بعض من يجعلون من طلب الرزق همهم الوحيد مقصرين لأجل تحصيله في العديد من واجباتهم الدينية، والأسرية، والاجتماعية فيذكرهم بأن رزقهم قد حدده الله لهم، وأنهم سينالونه من غير نقصان، أو تقتير وأنهم مطالبون بتقديم الأسباب لنيله، من غير تفريط فيما أوجبه الله عليهم، وأن رزقهم قد تمت كتابته من الله العلي القدير، وأنه واصلهم لا محالة، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة: ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسَل إليه المَلَك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع

كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد. "[1].

ثم يعقب على ذلك بهذه الأبيات التي ذكر لنا رجل التربية والتعليم حفيده: عبد المجيد سلمان أنه حفظها غيبا عنه من كثرة ما كان يرددها:

يا طالب الزيد والأرزاق قد قسمت ... بين الخلائق لم تنقص ولم تزد

أتعبت نفسك فيما لست مدركه ... وضاع عمرك في هم وفي نكد

لو طرت بين السماء والأرض مجتهداً ... في شربة الماء فوق الرزق لم تجد

هون عليك فإن الرزق عن قدر ... يأتي ولو أنه في جبهة الأسد

(1) مسلم :الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم: 2643.

السيرة الاجتماعية
للطالب الساسي سلمان

السيرة الاجتماعية للعلّامة الطالب الساسي سلمان

إن المرء ابن بيئته، يفرح لفرح أهلها، ويحزن لحزنهم، ويهتم بشؤونهم، ويسهم في حلّ مشاكلهم، ويبذل قصارى جهده في إبعاد كل ما من شأنه تعكير رائق عيشهم، وتكدير صفو حياتهم، وتنغيص بشرهم وسعادتهم، حيث كان الطالب الساسي من أولئك الذين أسهموا في إيجاد الحلول المناسبة لقضايا أمتهم ومجتمعهم، فقاوم الكثير من العادات السيئة، وأسهم في قبر العديد من الآفات التي كانت منتشرة في زمنه، متوخيا الحكمة في علاجها، والذكاء في القضاء على أبراجها الوهمـية، هذا ما سنحاول إبرازه من خـلال النقـاط الآتية:

مقاومته لعادات إجبار البنات الأبكار على الزواج ممن لا يرغبن فيه

إن الناس في تلك الحقبة الزمنية، التي جثم فيها الجهل بكلكله على صدور الناس، والاستدمار الفرنسي بلأوائه على أرزاقهم ومقدراتهم، كانوا يزوجون بناتهم دون رضاهن، بل ويجبرونهن على الارتباط بمن لا يرغبن فيه، وغالبا ما يكون عريس الغفلة هذا شيخا هرما، صاحب مال وجاه، فتعطى له الفتاة، وهي في ريعان شبابها لقمة سائغة، دون مراعاة لشعورها، أو اعتبار لرأيها، أو شفقة لما ستؤول له حالتها النفسية من سوء، وذلك للفوارق العمرية، والفكرية، بينها وبين من سترتبط به، دون مقدرين لعواقب فعلهم هذا، إذ ينظرون لصنيعهم المشؤوم على أساس أنه

صفقة رابحة، ستجر عليهم من حطام الدنيا الشيء الكثير وسينالهم من مال هذا الصهر ما يدفع عنهم ضيق العيش، وشظف الحياة، فضلا عن كونهم ارتاحوا من هم هذه البنت، التي كانت تعيش بينهم على هون، خوفا من أي طارئ يحل بها، قد يلحق بسمعة العائلة فضيحة ما، بل كان الكثير منهم يطلقون على هذه النعمة الربانية مصطلح: " بومبه " أي قنبلة.

في هذا الوضع المتردي كان يعيش العلامة الشيخ الساسي، وبداخله كتل من الآلام، والأوجاع والحسرات على ما آل إليه وضع كثير من الفتيات اللاتي يتم إقبارهن في عمر الزهور، وهن أحياء، ليكن خادمات، أو دمى متحركة في أيادي أزواج في عمر أجدادهن، مما حدا به، وهو المالكي المذهب، الذي يرى فقهاؤه بجواز إجبار البكر البالغ على الزواج من قبل أبيها[1]، إلى الفتوى في هذه المسألة بغير مذهبه، وخروجه عنه إلى مذهب الحنفية[2]والأوزاعي، والثوري وأبي ثور وابن تيمية، وتلميذه ابن القيم (رحمهم الله تعالى) "[3]، الذين يرون عدم جواز إجبار الفتاة على الزواج بمن لا ترغب فيه، متصديا في ذلك لما يلحق المرأة من ظلم، مرددا قول الشاعر:

---

1 – بداية المجتهد 2/ 6.

2 – بدائع الصنائع 2/ 241.

3 – فتح الباري 9/ 193.

4 – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 32/ 24، وزاد المعاد 4/ 2.

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة على القلب من وقع الحسام المهند

نقول وحسنا فعل فإن القول بعدم تزويج البكر البالغ إلا برضاها، هو القول الموافق لحكم رسول الله ﷺ وأمره، ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته، فأما موافقته لحكمه فإنه حكم بتخيير البكر الكارهة، وأما موافقته لأمره فإنه ﷺ قال: "البكر تستأذن"، وأما موافقته لقواعد شرعه، فإن البكر البالغة العاقلة الرشيدة لها كامل الحرية في التصرف في مالها ولا يستطيع أبوها أن يتصرف في مالها إلا بإذنها ورضاها، ولو كان شيئا بسيطا، فما بالنا بعقد الزواج الذي هو أكثر أهمية من العقود المالية.

وقد كان يستشهد بقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "فلو لم تأت السنة الصريحة بهذا القول لكان القياس الصحيح وقواعد الشريعة لا تقتضي غيره"[1].

كما كان يرى أن الأصل في العقود أن تُبنى على التراضي وعدم الإكراه، معتبرا أن عقد الزواج الأولى بتوفّر عنصر الرضا فيه، لأنه حتى في حالة قيام الزوجية، إذا حصل وأن كرهت الزوجة زوجها واستحالت الحياة الزوجية بينهما، فلا تجبر على العيش معه، ولها الخلاص منه، إما عن طريق الحكمين إذا رأيا بأنه من المصلحة التفريق بينهما[2]، أو عن طريق الخلع، فمن باب أولى أن يكون ذلك قبل البناء بها.

---

1 – زاد المعاد 5/ 2.

2 – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 32/ 28.

وكان يعجبه قول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله في هذه المسألة، والذي مفاده "أن الأب ليس له أن يتصرّف في مالها إذا كانت رشيدة إلا بإذنها، وبضعها أعظم من مالها، فكيف يجوز أن يتصرّف في بضعها مع كراهتها ورشدها... وأما تزويجها مع كراهتها للنكاح فهذا مخالف للأصول والعقول، والله لم يسوّغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده، فكيف يكرهها على مباضعة ومعاشرة من تكره مباضعته ومعاشرة من تكره معاشرته؟! والله قد جعل بين الزوجين مودة ورحمة، فإذا كان لا يحصل إلا مع بغضه لها ونفورها عنه، فأي مودة ورحمة في ذلك؟"[1].

بهذه الروح الفقهية الخالية من التعصب، والقائمة على اقتناص المصالح والمتكئة على مقاصد الشريعة، راح يغترف من المذاهب الفقهية الأخرى، قصد إيجاد حلول لمشاكل بني وطنه، لاسيما إذا كانت الفئة المستهدفة بالفتوى، من الفئات الهشة، خاصة في مجتمعاتنا العربية، ولو تطلب ذلك الفتوى بغير ما عليه مذهبه المالكي، إذ راح يصدح بقناعاته في الدفاع عن بنات وطنه، بل ويرفع صوته عاليا في وجه ظلم الآباء تجاه فلذات أكبادهم، مما يجعلنا نقول: ما أحدّ فكرك وما أثقب عقلك، وما أجمل صنيعك، وما أروع دفاعك عن بنات مجتمعك. رغم سياسة التجهيل التي حاول الاستدمار الفرنسي غرسها في أوساط بني وطنك فجزاك الله عن كل بنت كانت فتواك، وصرختك المدوية سببا في انتشالها من براثن إجبارها

---

1 – مجموع الفتاوى 32/ 25.

على العيش في جلباب زوج لا تآلف معه، ولا تقارب عمري، أو فكري يربطه بهذه الزوجة المغدورة، في شبابها، والمتألمة في عيشها، والمجروحة في مشاعرها، والمشرئبة في تفكيرها، والمهتزة في تعاملاتها، والمكرهة على عيش ملؤه حياة الضنك لنفسي، والقهر الأسري، والظلم الاجتماعي.

مجابهته لتهريب المرأة المراد الزواج منها عند رفض والدها تزويجها

لقد وقف الطالب الساسي سدّا منيعا ضد تلك الأعراف البالية، التي تقتضي تهريب، واختطاف البنت المراد الزواج منها، في حالة رفض وليها تزويجها ممن يتقدم لطلب يدها، وذلك لسبب ما، فيأتي جمع من عائلة هذا الشاب، ويختطفون هذه الفتاة، ويذهبون بها إلى مكان آمن، غالبا ما يكون منزل صاحب جاه، أو حظوة دينية، فتمكث عنده الفتاة لحين رضوخ والدها، أو وليها للأمر الواقع، فيزوجها مكرهه. حاله في ذلك كأحوال من يساقون إلى الموت وهم ينظرون، وغالبا ما يترتب عن ذلك مقاطعة ولي الفتاة لها، لا سيما إذا كانت طرفا في جريمة اختطافها إذ قد تتواطئ الفتاة مع من تحب أن يكون لها زوجا، فتيسر له سبل تهريبها، مما يؤجج نار العداوات بينها وبين أهلها وذويها، الذين مرغت أنوفهم في الوحل بسبب هذه الزيجة التي لم تبن على المكارمة، والرضى، وإنما قامت منذ بداياتها الأولى على الشحناء، والتباغض، والخصام.

هذا كله جعل من الطالب الساسي يستنفر جميع قدراته الفكرية، ومكانته الاجتماعية، لإيجاد الحلول الكفيلة بحل هذه المشكلة العويصة، التي تتوج في بعض الأحيان بسقوط ضحايا من كلا الطرفين، وقد تصل إلى حد القتل، وإزهاق الأرواح، بحجة الانتصار للأعراض، ورفع الضيم الذي يلحق بعائلة الفتاة، مما جعله يخوض معركة ضروسا تتطلب توعية، وإقناع كلا الطرفين، وذلك بحث الأولياء على عدم منع من هن تحت ولايتهم من الزواج ممن يرغبن في الارتباط به إذا كان كفئا، وفي المقابل توعية من يقبلون على الزواج بأنه يقوم على التراضي وأن ما يقومون به من خطف لمن يرغبون في الارتباط بها، يصنف في دائرة الحرام دينيا، والجريمة قانونيا، والعمل الممجوج أخلاقيا، وقد أثمرت تدخلاته هذه بأن قلت أضرار هذه الظاهرة المقيتة، وذلك بامتناع الناس عن غوض غمارها، أو بالتقليل من مخرجاتها السلبية، وذلك بتدخل الطالب الساسي، الذي غالبا ما يتوج تدخله بالصلح بين العائلتين، مما يعني إخماد فتنة، قد يمتد فتيل أوارها، ولهيب تطاير شرارها، إلى سنوات، تشبه في أضرارها حرب داحس والغبراء.

مقاومته لعادات حرمان البنات من الميراث

لقد فتح الطالب الساسي عينيه على مجتمعه السوقي، الذي غالبا ما تحرم فيه الأنثى من نصيبها من الميراث، فراح يقاوم هذه التصورات الخاطئة، والعادات السيئة، المخالفة لشرع الله، الوارد في محكم تنزيله، وراح يبين لأبناء مجتمعه أن حرمان المرأة من الميراث، يعدّ عدم رضى بحكم الله، وأن هذا الصنيع من عمل الجاهلية، وأن صاحبه مبشر بالعذاب، والهوان، وكان لسان حاله يقول مدوّيا:

لقد جاء الإسلام مبطلا لنظام الإرث الذي كان سائدا في الجاهلية، ملغيا لأسبابه كالتبني وذلك في قوله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾[1] والحلف والمعاقدة بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2]. وإبطاله لحرمان الأنثى من الميراث إذ ورثها بنتا وزوجة وأما وأختا، كما في قوله تعالى: " يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَولادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فلأمه السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا

---

(1)- الأحزاب: 5.

(2)- الأنفال: 75.

تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ".[1]

وفي قوله: "يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[2]، كما أبطل عادة حرمان غير البالغين من الميراث الذي يعطى في نظرهم للبالغين، والقادرين على حمل السلاح: مما يجعلهم لا يورثون الابن الصغير رغم درجة قربه من الميت وينتقل الميراث للقريب الأبعد وذلك لبلوغه وقدرته على الإغارة والغزو في الحروب وحماية القبيلة. خلافا للإسلام الذي ورث الصبيان، بل جعل التركة يوقف تقسيمها من أجل الجنين في بطن أمه، على بعض الأقوال خلافا لمن قال بالمبادرة بتقسيمها مع حفظ حق الحمل في كل الأحوال.

---

(1)- النساء: 11 و12.

(2)- النساء: 176.

والخلاصة أنه بعد هذا العرض، تبين لنا عدالة الأسس التي قام عليها نظام الإرث في الإسلام إذ لم يحرم المرأة، ولا الصبي من الميراث، وأنه وضعه في نصابه الحقيقي إذ أعطاه لمستحقيه من أقرباء الميت.

بل إن المتأمل في نظام الإرث في الإسلام، يجده فتح الباب واسعا لميراث المرأة حيث ورث كلا من البنت، وبنت الابن، والأم، والجدة من جهة الأم، والجدة من جهة الأب، والأخت الشقيقة، والأخت لأبٍ، والأخت لأمٍّ، والزوجة، والمعتِقة.

مما يجعلنا نضمُّ أصواتنا إلى ما كان يفعله الطالب الساسي من مقاومة ظاهرة حرمان النساء من الميراث في المجتمع الجزائري، حيث نقول لهؤلاء الذين يبارزون الله في عليائه، ويمنعون المرأة من الميراث اتقوا الله، وكفوا عن صنيعكم اللامشروع، وذلك لأن:

1 ــ منع المرأة من الميراث يعد من أمور الجاهلية، كما يعتبر انحرافا عن منهج الله الذي تولى بنفسه تقسيم هذه الفرائض، وذلك لما فيه من الظلم المنهي عنه شرعا، وأكل أموال الناس بالباطل، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الظلم، وبين عواقبه الوخيمة، فقال: " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ :﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

(1) ـ هود: 102 ، والحديث رواه الإمام البخاري: الجامع الصحيح، كتاب: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد. ": هود: 102

2 ـــ وجوب ترك هذه العادات السيئة التي تجعل من المرأة لا تأخذ نصيبها من الميراث، وهي في أمس الحاجة إليه، يمنعها من ذلك الحياء، والأعراف البالية والتقاليد الفاسدة، والخوف من خسارة علاقاتها مع أهلها وذويها من الذكور الذين ملأ الطمع نفوس بعضهم، ورأى البعض الآخر منهم أن المرأة لا تحسن التصرف فيما سيؤول إليها من أموال، فضلا عن أن هذا النصيب سيستفيد منه زوجها الأجنبي في نظرهم عن الأسرة، وهم لا يشعرون بأنهم بصنيعهم الأرعن هذا يبارزون الله في عليائه، ويعقبون على تشريعاته السديدة، وأحكامه الرشيدة.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: " فالواجب على جميع المسلمين العمل بشرع الله في المواريث وغيرها، والحذر مما يخالف ذلك، والإنكار على من أنكر شرع الله، أو تحيل في مخالفته في حرمان النساء من الميراث، أو غير ذلك مما يخالف الشرع المطهر، وهؤلاء الذين يحرمون النساء من الميراث، أو يتحيلون في ذلك مع كونهم خالفوا الشرع المطهر، وخالفوا إجماع علماء المسلمين، قد تأسوا بأعمال الجاهلية من الكفار في حرمان المرأة من الميراث"(1)

3 ـــ أن المانعين لميراث المرأة، أعد الله لهم النار، مع العذاب المهين فيها نظير حرمانهم ميراث من يستحق من النساء، وقد جاء ذلك عقب الحديث عن ميراثهن.

حديث رقم 4686، ومسلم: الجامع الصحيح، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث: رقم 2583.

(1). مجموع الفتاوى" 20/ 221.

وأنصبتهن، في قوله تعالى: " تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[1]

4 ــ أن الله عز وجل بين بعد تجليته لميراثهن، بأن هذا يعد فريضة، ووصية من الله، لا مناص من تنفيذهما، وأن المتألي على تطبيقهما، متألٍّ على علم الله وحكمته، وحلمه. حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2]، وقال: ﴿ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[3]

والخلاصة: لا يسعنا هنا إلا أن نقول: رحم الله الطالب الساسي، الذي دافع عن ميراث المرأة، وحاول جبر كسر جناحها المهيض، حيث نجح في العديد من المرات في إقناع كثير من العائلات بإعطاء الوارثات من النساء نصيبهن كاملا غير منقوص، كما نصت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، فجزاه الله عن كل نصيب من الميراث تحصلت عليه أنثى، كان ذووها الذكور سيحرمونها منه، لولا تدخله رحمه الله تعالى، وجعل الفردوس مثواه، آمين يارب العالمين.

---

(1)ـ النساء: 13 ــ 14.

(2)ـ النساء: 11.

(3)ـ النساء: 12.

عمله كوسيط قضائي متطوع

لقد كان القاضي الشرعي مسعود العمراني، بمدينة الوادي، ينتدب كلا من الطالب الساسي، وبلديّه سي الطيب بالقط رحمهما الله تعالى كوسيطين قضائيين بين المتخاصمين خاصة إذا تعلق الأمر بالخصومات، الواقعة في جهتهما السكنية وذلك لثقة هذا القاضي في حصافة رأييهما، وقناعته بمكانتهما الاجتماعية، التي تخول لهما احترام الناس، والنزول عند أمرهما، مما يجعلهما يحلان مشاكل جمة، لا يقوى سلطان المحكمة على حلّها، وهذا لاقتناع الناس بأن سلطان رجل القرآن، والعلم، أقوى بآلاف المرات من سلطان القضاء، والقانون، مع العلم بأن هذه الوساطات القضائية لم يكن الشيخان: الطالب الساسي، وسميّه سي الطيب يتقاضيان عليها أجرا ماديا، وإنما كانا يحتسبان أجرها عند الله تعالى، يوم يقوم الأشهاد.

اشتغاله مأذونا شرعيا متطوعا

إن أغلب زيجات الجزائريين في العقود الزمنية الماضية، لم تكن مدونة في سجلات الحالة المدنية، أو على مستوى المحاكم، وإنما كانت توثق شفهيا وذلك بتوفر أركان الزواج، وشروطه، من صيغة، ومهر، وولي، وصداق، وشهود، والتي غالبا ما يكون المسجد مكانا لهذا العقد، الذي كان يتولى إبرامه الطالب الساسي أو أحد تلاميذه في حالة غيابه، مما يجعلنا نقول: إن الشيخ الساسي قد عقد قران جلّ أسر منطقته، فجزاه الله عن شباب مجتمعه خير الجزاء، وجعل الجنة له دار سكن ووطاء.

تحرّيه لرؤية هلال رمضان

إنه على الرغم من ذلكم الجو المشحون بآلة البطش الفرنسي، التي كانت تترصد الذّابّين عن حياض الإسلام الطاهرة، مذيقة إياهم كؤوس الذل والمهانة والصغار، إلا أن هذا لم يثن الطالب الساسي عن التحري في إثبات بعض الشعائر الدينية كثبوت الصيام، والإفطار، فكان يخرج في ليلة الشك في تحد صارخ لفرنسا مصطحبا معه مجموعة من طلبته النابهين، الذين يصعد بهم إلى قمم الكثبان الرملية، التي تعرف في المنطقة بالسيوف، والغرود، والجبال الرملية، ليتحروا رؤية الهلال من عدمه، وغالبا ما يشاهد الهلال، وذلك لكون منطقة الوادي، يغلب على مناخها الصحو، وعدم تراكم السحب الحاجبة للهلال، كما كان لا يثق في رجال الدين، الموظفين عند فرنسا، في إثبات هلالي رمضان، وشوال، وكم كان يتأسف لضعف وسائل الاتصال بين الجزائر والدول الإسلامية يومها، إذ كان يقول عند عدم ثبوت الرؤية، لو أعلم أن بلاد الحرمين قد ثبتت عندها الرؤية، سأصوم معها ولا أتبع ما يعلن عنه موظفو فرنسا كما يسميهم، وذلك لكون مذهبه المالكي يقول بتوحيد المطالع، وأنه إذا تمت مشاهدة الهلال في أي سقع من أسقاع المعمورة، وجب الصوم على الجميع.

فصله في صيام الأطفال

نظرا للثقة الدينية الكبرى، التي كان يتمتع بها الطالب الساسي في وسطه الاجتماعي، كان أولياء الأمور يرسلون له بأطفالهم الصغار لينظر في شأنهم. هل يجب عليهم الصيام في رمضان هذه السنة، أم لا ؟، ومعروف أن الصيام يجب كحكم تكليفي، إذا توفرت فيه هذه الشروط التي ذكرها الشيخ ابن عاشر في قوله:

وكل تكليف بشرط العقل مع البلوغ بدم أو حمل

أو بمني أو بإنبات الشّعر أو بثماني عشرة حولا ظهر

لكن، ونظرا للحياء، والستر، الذي كان يتعامل بهما الناس في الأسرة، لا يستطيع الأب، أو الأم مفاتحة أولادهما بشأن علامات بلوغهما، مما يضطرهما إلى اعتماد طرق أخرى يفصل فيها إمام المنطقة وعالمها، وهي ما تسمى في منطقة سوف بقياس الخيط، الذي كان يفصل فيه الطالب الساسي في منطقته، بأن يأخذ خيطا ويثنيه إلى طبقتين، ثم يلفّه على رقبة الطفل، لقياس طول دائرة الرقبة، ثم يضع طرف الخيط المثني لطبقتين في فم الطفل، ثم يدخل طول دائرة الرقبة إلى رأس الطفل، فإن دخل الخيط المزدوج حكم بوجوب الصوم، وإن لم يدخل حكم بعدم وجوب صومه، وهي طريقة متعارف عليها عند أهل المنطقة، اكتسبوها بالتجربة والغريب في الأمر أن هذه الطريقة أثبتت نجاعتها، وأن ارتياب نسبة الخطأ فيها قليل جدا. نقول معلقين على طريقة الشيخ في إثبات الصيام،

بقياس الخيط: ما أعظمك يا الطالب الساسي، فقد بلّغت خدمتك لأبناء مجتمعك لدرجة خدمة الصبيان منهم وتحديد وجوب صيامهم من عدمه، فجزاك الله عن كل صائم من هؤلاء الأطفال الأبرياء خيرا.

تشجيعه على الوقف على الجهات الخيرية

لقد كان كثير من الجزائريين يعانون من شظف العيش إبان الفترة الاستعمارية إذ وصل الأمر ببعض العائلات إلى عدم وجود ما يأكلون، أو يلبسون، يضاف لذلك سياسة التجهيل الممنهجة من قبل الاستدمار الفرنسي، مما دعا الطالب الساسي رحمه الله تعالى إلى دعوة أصحاب المال، والممتلكات إلى الوقف على الفقراء والمساكين، سدا لجوعاتهم، وسترا لعوراتهم، وكذا على طلبة العلم ومدارسه، وقد استجاب لهذه الدعوة الكريمة بعض مواطنيه، حيث أقيمت بعض الأوقاف استجابة لحثه لأهل البر والإحسان على إنشائها، ومن ذلك: وقف أولاد عقوب من النخيل، والذي سبلت ثمرته لصالح الفقراء والمساكين، وطلبة العلم وكذا وقف البَنّي [1] من النخيل أيضا، الذي خصص لإطعام الجائعين، والفقراء والمساكين.

كما كان يحث على الأوقاف العلمية، التي يبنى بريعها مدارس العلم ومحاضنه، ويصرف منه على تكوين النابغين من فقراء مدينة الوادي، وقراها ومداشرها، وتخصص منه منح لبعض المبتعثين لإكمال الدراسة بتونس الشقيقة.

---

(1) النسبة لعائلة البَنّي، القاطنة بوادي سوف، والمنتمية لعرش الربيع.

علاقته بالطرق الصوفية

ولد الشيخ الساسي في عائلة تنتمي للزاوية الرحمانية، التي رفعت لواء تدريس كتاب الله عز وجل، وتعليم اللغة العربية، وبث الوعي في الأوساط الاجتماعية ومقاومة الاستدمار الفرنسي اقتداء بما قام به الشيخان المقراني، والحداد انطلاقا من زاويتيهما، ولم يكن انتماؤه هذا ليمنعه من ربط صلات طيبة مع بقية زوايا منطقته، كالزاوية القادرية، التي تولى مشيختها رجل الإصلاح: والعضو العامل في جمعية العلماء المسلمين، الشهيد عبد العزيز بن الهاشمي الشريف، المسماة عليه أعتق ثانوية اليوم بمدينة الوادي، والزاوية التجانية، التي كان الكثير من مريديها من طلبته، والذين كانوا يكنون له كل التوقير، والحب، والاحترام، هذا ومما يؤكد تآلفه مع منتمي هذه الطرق تزويج ابنته بشيرة لجاره: أحمد التيوة، وهو تجاني الطريقة، وإمامة ابنه محمد لمصلي مسجد الشرايطة سابقا، العباس بن عبد المطلب حاليا في صلاة التراويح، وهو رحماني الطريقة، وجل مريدي المسجد تجانيو الطريقة. وكذا إمامة ابنه العلامة المعمر الشيخ أحمد لهم في صلاة الجمعة، مما يعني التآلف بين هذه الطرق، التي يشعر جميع أفرادها أنهم ينتمون إلى دين واحد، ويعبدون ربا واحدا، ويتجهون لقبلة واحدة، ويضم الجميع وطن واحد وإن اختلفت التسميات، مما يجعل الكل يضع يده في يد أخيه خدمة لهذا الدين وتعزيزا لأمن وسلامة الوطن، ليعيش الجميع في ربوعه متآخين، في سلام، ووئام وهناء.

ستره لمن ضبطه متلبسا بسرقة تمر نخيله:

لقد كان رحمه الله متوجها لحديقة نخيله، التي تعرف عند أهل المنطقة بالغوط، أو الهود، وقد كان ذلك في فترة جذاذ محصول النخيل، الذي غالبا ما يفرش له تحت النخيل، إلى حين تعبئته في أكياس، وصناديق خشبية، وإذا به يلمح شخصا يحمل على ظهره كيسا ممتلئا تمرا، فتخبأ الشيخ الساسي، حتى لا يراه السارق، لحين ابتعاده عن حمى النخيل، ويَعْدها لحقه، وسلّم عليه، وهشّ له وبش، وأعانه على حمل المسروق لغاية بيته، وهو يقول في نفسه، لعلّ لديه أبناء يتضاغون جوعا، لعلّ شدة الفقر ألجأته إلى ذلك، ملتمسا له الأعذار، محتسبا ما أخذه صدقة، كاظما لغيظه، بل ولسان حاله يردد قول الله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[2]، بهذه الروح الشفافة، التي جعلته يستر على عورة هذا السارق، كان يحيى الطالب الساسي، ويعايش، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " ومن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة."[3]

بل إنه لم يكتف بذلك، بل أرسل إليه كمية أخرى من التمر على سبيل الإهداء على طريقة أهل المنطقة، الذين يؤثرون جيرانهم وذويهم بقسط من منتوجهم

---

(1) ـ آل عمران: 134.

(2) ـ البقرة: 237.

(3) ـ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه، حديث رقم: 2442.

الفلاحي، ولو كانوا من ميسوري الحال، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كلم أصحاب واحات النخيل في شأنه بأن يخصوه بمزيد عطاء من تمورهم، ولما علم ذلكم السارق بشفاعة الطالب الساسي له عند أصحاب التمور، جاءه مقرا بذنبه طالبا الصفح والعفو عن صنيعه الذي يستوجب قطع يده، فأجابه الشيخ الساسي بأن الله قد سترك في الدنيا، وأرجو أن يسترك في الآخرة، وترجاه ألا يخبر أحدا بصنيعه، حفاظا على صورته الاجتماعية، كما بين له أن جريمة السرقة من جرائم الحدود، التي يجوز العفو فيها قبل وصولها للإمام، أما إذا وصلت للإمام فمن عفا فلا عفا الله عنه، ثم توجه إليه قائلا: اعلم أنني قد سامحتك، وأن مالي لا خير فيه إذا لم يستفد منه إخواني، وكأن لسان حاله يقول:

قل لي بربّك ماذا ينفعُ المالُ ... إنْ لم يُزيّنه إحسانٌ وإفضالُ

المالُ كالماءِ إن تَحبِسْ سواقيَه ... يَأسَنْ وإنْ يَجرِ يَعذُبْ منه سَلسالُ

تَحيا على الماء أغراسُ الرياض كما ... تَحيا على المال أرواحٌ وآمالُ

إن الثمراءَ إذا جِيلستْ مواردُه ... دونَ الفقيرِ فخيرٌ منه إقلالُ

الله أعطاكَ فابذُلْ من عطيّته ... فالمالُ عاريةٌ والعمرُ رحّالُ[1]

وما أن أنهى كلامه معه حتى انفجر سارق الأمس، تائب اليوم بالبكاء، معاهدا الله

---

1 - عبدالعزيز السلمان: موارد الظمآن لدروس الزمان: 2 / 186.

على ألا يعود لمثل صنيعه، مشهدا إياه على توبته النصوح، وبهذا يسدل الستار على صنيع العظماء، الذين لا يقيمون للماديات وزنا، جاعلين شعارهم، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم، أو مما طلعت عليه الشمس تاركين وراءهم صورة ناصعة البياض في مسيرتي الاقتداء والاهتداء.

ممارسته وظيفة الطبيب النفسي

لم يكن العلاج المجاني متوفرا الكثير من فئات المجتمع في عهد الطالب الساسي، بل كان الناس يكتفون بالتداوي ببعض الأعشاب، التي أثبتت نجاعتها العلاجية، وفي المقابل كانوا يتخذون من آي الذكر الحكيم، وأذكار السنة النبوية وأدعيتها مصادر للاستشفاء، فكانت جل العائلات تتوجه للطالب الساسي بمرضاها ليقرأ لهذا في زجاجة ماء بعض الأدعية القرآنية، وليضع يده على رأس هذا، ويقرأ عليه جملة من الآيات، فينزل الله الشفاء، وكم كان الطالب الساسي حريصا أن يوصل إلى مريديه فكرة، أن الله هو الشافي، وأن الرقية مجرد سبب حتى لا يعتقد بعض الجهلة أن الشفاء حدث ببركة الشيخ، ولذلك كان حريصا على إبعادهم عن كل ما يدخلهم في دوائر الشركيات، مذكرا إياهم بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: " لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شِركٌ "[1]، مبينا لمن شفي منهم أن ذلك بسبب كلام الله، وذلك

---

(1) مسلم: الجامع الصحيح، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، حديث رقم: 2200.

مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن." [2]، مما يجعلنا نشيد بالعقيدة الصحيحة، التي كان يدين الطالب الساسي ربه بها، ويريد أن يجسدها في قلوب أبناء حيّه، ومريديه، إشفاقا عليهم من الاعتقادات الخاطئة، التي تجعل من أعمالهم قاعا صفصفا، لا ينالهم منها سوى التعب، والنصب في الدنيا، والخزي، والثبور، والبوار في الآخرة.

استصداره الإجازات الخاصة بتأمين الوظائف لطلبته المتخرجين من مدرسته

بعد استقلال الجزائر من نير الاستعمار البغيض، كانت البلاد في أمسّ الحاجة لاستغلال طاقات أبنائها، في أسلاك الوظائف المختلفة، من تعليم، وإدارة، وإمامة وغيرها، فكان الطالب الساسي يكتب لطلبته الذين درسوا عنده إجازات بما حفظوه على يديه من القرآن، فيجيز هذا بالقرآن كاملا، وذاك بالنصف، والآخر بالربع، وهكذا، ثم يأخذ هذا المجاز هذه الشهادة ليتوجه بها لجهة الوظيفة المطلوبة، فيعين بها إماما، أو معلما، أو موظفا إداريا، وبهذا أسهم الطالب الساسي في دعم وطنه الذي خرج جريحا من حرب استعمارية أكلت الأخضر واليابس وشارك في القضاء على البطالة المقيتة، وذلك بتوفير مناصب شغل لتلاميذ مدرسته القرآنية المجيدة.

---

(1). الإسراء: 82.

(2). البيهقي: شعب الإيمان 2 / 519، وهو يصح موقوفا على ابن مسعود، ولايصح مرفوعا.

تهيئته لطلابه لاقتحام الدراسة في المعاهد الإسلامية

بعد طرد الاستدمار الغاشم من الجزائر الحبيبة، توجهت سياسة التعليم إلى فتح معاهد لتدريس العلوم الشرعية عبر ربوع الوطن، وكانت مدينة الوادي يومها إحدى حواضر الجزائر، التي حظيت بفتح معهد إسلامي، أطلق عليه اسم الشهيد البطل: بوشوشة، وعين له أول مدير، هو السيد الفاضل: مسعود مناعي، وكان من سياسة المعهد إقامة مسابقات سنوية لالتحاق دفعات الطلبة به، وكان أهم شرط هو حفظ الطالب على الأقل لستة أحزاب من القرآن الكريم، فكان طلبة الشيخ الساسي يحصدون مقاعد الدراسة المعلن عنها في المسابقة حصدا، حيث يحققون نسبة مائة في المائة من النجاح، وبعدها يدرسون بالمعهد لمدة أربع، أو سبع سنوات للحصول على الأهلية، أو الباكالوريا، على يد نخبة من الأساتذة الأزهريين الأكفاء، والذين لم يكن نشاطهم مقتصرا على تدريس الطلبة في المعهد فقط، بل كان نشرهم للعلم والتنوير ممتدا لمساجد أنحاء الوطن، فتجد المساجد تعج بالحضور ليستمعوا لدروس العلم المتنوعة، في العقيدة وعلوم القرآن ومصطلح الحديث، والفقه، والأصول، والعربية، وغير ذلك من العلوم المختلفة بل وقد بلغ الأمر مداه إلى تعليم الفرنسية، التي كان بعض الأساتذة المصريين يلقنونها لكبار السن بطريقة طريفة للغاية، حيث يوردون الجملة بالعربية، وما يقابلها بالفرنسية، في نظم شعري يهدف من خلاله إلى تيسير حفظ هذه الكلمات الفرنسية، لتيسير التخاطب بها، خاصة لأولئك العاملين في فرنسا، ومن أمثلة ذلك:

صـــباح الخير عندهم بونجور وســـائر الأيـام عنهم توجور

والـخـبـز عـنـدهـم لـي بَّـى والأرنب عنهم لا بَّى

وهنا لا بد من التعليق في كلمتين، إحداهما في حق المعاهد الإسلامية، فنقول: لقد كانت تابعة لوزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، والتي كان على رأسها وزير الصدق والإخلاص، والعلم: مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله تعالى الذي كان يختار لتأطيرها أحسن الأساتذة، ولأدلّ على ذلك من وجود الشيخ الشعراوي، في البعثات الأزهرية، التي حطت رحالها بتلمسان، والذي صار بعدها وزيرا للأوقاف بمصر، ومؤلفا لمئات الكتب، ومفسرا للقرآن، ومقدما لبرنامج تلفزيوني بمصر في تفسير القرآن العظيم، وقد كانت هذه المعاهد تمدّ الجزائر بالإطارات في مختلف المجالات، لا سيما في مجال التربية والتعليم، وأنا أكاد أجزم أنه لو لم يسخر الله للجزائر هذه المعاهد لبقيت في تبعية خارجية، في تأطير مؤسساتها التعليمية والجامعية، ولكن الله سلّم، إذ كانت جحافل المتخرّجين منها، تملأ تلك الفراغات الوظيفية، في كل مؤسسات الجزائر، فكم من إطارات ومناصب عليا، وأساتذة جامعيين تخرجوا من هذه المعاهد، إذ كانت بمثابة المخزون البشري العالي المستوى، لتأطير مؤسسات الدولة، مما يجعلنا نتألّم لما أصابها من إلغاء، إذ كانت آخر باكالوريا لها سنة: 1979 م، لتستبدل بالتعليم العام الذي كان موجودا مع

التعليم الأصلي، وليسدل الستار عن معاهد كالأقمار أنارت الطريق لمجتمع أحبها وأحبته، واغترف من علومها الغضة، ومن معين رضابها السلسبيل.

وثانيهما في حق الطالب الساسي رحمه الله، الذي كان لا يملّ، ولا يكلّ في تدريس الطلبة، الذين كان يدلف بهم للمعاهد الإسلامية للدراسة فيها وللمؤسسات المختلفة لتأطيرها، مما يجعلنا نراه علما علميا شامخا في سماء الجزائر، يحتاج إلى التفاتة تكريمية من وطنه الذي أمدّه بالعلم النافع، والإطارات الكفؤة، كأن تسمى عليه مؤسسة علمية في مدينة الوادي، اعترافا بفضله، وردّا لجميله العلمي، الذي لهجت به الألسنة، وتغنت بذكره الرّكبان.

دعوته للبعد عن المعاصي

لقد كان الطالب الساسي رحمه الله حريصا على أن تكون بيئته، ومجتمعه خاليين من المعاصي، التي تقوض أركانه من القواعد، كما كان يشفق على أولئك يلغون في بحرها المتسخ، فكان يطمئنهم بأن باب التوبة مفتوح على مصراعيه، ولتقبل هذه التوبة، يجب على المذنب، ألا يصرّ على المعصية، وأن يتوب توبة نصوحا، وألا يعود للمعصية، ولكون البعض منهم من البدو الرحّل، كان يشبه لهم عدم الرجوع للمعصية، بعدم رجوع اللبن إلى ضرع الشاة إذا خرج منها.

إسهامه في حلّ النزاعات الواقعة في مجتمعه

لقد كان كل من الطالب الساسي، والشيخ سي الطيب بالقط حكيمي بلدتيهما فكان الناس يلجؤون إليهما لحلّ نزاعاتهم، وذلك لعلمهم اليقيني أنهما إذا تدخّلا في حلّ قضية، وصلا فيها لنتائج مرضية للجميع؛ ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

1 ــ ما وقع من صراع سنة: 1967 م، كاد أن يصل إلى التشابك بالأيدي بين عائلات: بالقط، وميلودي، وشرايطة، وبالعروسي، بسبب تحديد رسم الطريق الذي يلج منه أصحاب النخيل لنخيلهم، وكان كل واحد من هؤلاء لا يرغب في أن يكون الطريق، ــ الذي يسمى في الجهة بالثنية ــ من جهته. وقد كان الطالب الساسي يدرّس طلبته، فجاءه الخبر بتشاجر من ذكرنا، فقام من مكانه متكئا على عكّازه، وراح يسرع الخطى، يطوي الأرض طيّا، إلى أن وصل إلى حديقة النخيل حيث وجد المتخاصمين، قد احتدّ لغطهم، وعلت أصواتهم، فأمرهم بالسكوت والإنصات إليه، فهدأ الجميع، كأن على رؤوسهم الطير. ثم دخل الشيخ إلى "لغوط " حديقة النخيل "، وتأمّله، ودقّق فيه النظر، ثم خطّ لهم الطريق بعكّازه، وأمر الجميع بأن يسلكوها للوصول إلى نخيلهم، فرضي الجميع بذلك، ولم يستطع أحد أن يتجاوز صنيعه، وبقي الكلّ على هذه الحال، إلى أن تجدد الصراع بينهم بعد وفاة الطالب الساسي بخمس سنوات كاملات، أي في سنة: 1975 م.

2 ــ لقد دخل ماعز بعض المواطنين لغابات النخيل، التي غالبا ما كانت الزروع اليانعات فيها، تحوط بأشجار النخيل الباسقات، وقد نفش ماعز القوم لكل الزروع،

التي كانت بحديقة النخيل هذه، حيث كادت أن تقع من جراء ذلك فتنة بين الطرفين، فتدخل الطالب الساسي، ووعظ الجميع، مذكّرا إياهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ. "[2] وفي رواية: "لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ. "[3].

ثم طلب من صاحب الماعز، أن يشتري الزرّيعة، وأن يسدّد مبلغ اليد العاملة التي ستفلح الأرض بها من جديد، فرضي بذلك، ولكن شهامة صاحب الحديقة جعلته يتنازل عن حقه، وذلك بعدما هدأ روعه، واستحضر قيمة الجوار في نفسه فما كان من صاحب الماعز، إلا أن ذبح تيسا من غنمه، وأقام وليمة استرضاء لجاره، حضر مراسيمها الطالب الساسي، وجمع من أعيان البلدة، وهكذا طوي الصراع بينهما، بل أقبر في مهده، وهكذا انتصر صوت العقل، فَقُدِّم الإخاء على الصراعات، والضغائن، والأحقاد.

---

(1) ـ الحجرات: 10.

(2) ـ أحمد: المسند، برقم 27508 وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(3) ـ الترمذي: السنن برقم 2510، وحسنه الشيخ الألباني: صحيح الجامع الصغير، برقم: 3361.

دعوته للمّ الصفوف ونبذ التفرقة

لقد حاولت فرنسا بكلّ قواها، ضلّ سعيها أن تفرّق بين الجزائريين: باستخدام مصطلح العصبية تارة، واستغلال اختلاف الطرق الصوفية تارة أخرى، لكن الطالب الساسي، كان ألمعيّ المنطق، ثاقب الفكر، خبيرا بمنطق الاستدمار الفرنسي السقيم، فاستغلّ فرصة تجمع جمهور عريض من مواطنيه بمناسبة حفل زفاف في منطقته، حيث قام فيهم واعظا وخطيبا، وناصحا أريبا، مبينا لهم خزعبلات فرنسا العجوز، ومرشدا إياهم إلى الحفاظ على وحدتهم، ولمّ صفوفهم، مبينا لهم أنهم يجمعهم دين واحد، ووطن واحد، ثم خاطبهم قائلا: إذا أتينا بحليب عنزة سوداء، وخلطناه بحليب عنزة بيضاء، هل يمكن التفريق بينهما، والتمييز بين حليب هذه أو تلك ؟، فقال الجميع بلسان واحد: لا، فقال لهم: أنتم من طينة واحدة دينيا، ومن وطن واحد ترابيا، فلا تتركوا فرنسا الحقودة تفرق بينكم، وكونوا صفا واحدا، ضد ها، فقد جعلت من وطنكم كلأ مباحا، ومن حرماتكم شرفا مستباحا، فلا تتركوها تجثم بكلكلها على رمال أرضكم الطاهرة التي عجن ترابها بأجساد الصحابة الأطهار، وسقي بدماء شهدائها الأبرار الأخيار.

مشيه في قضاء حوائج الناس

لقد كان الطالب الساسي رحمه الله مسخرا لخدمة الناس، وقضاء حوائجهم فلقد كان يتحمل عبء مشاق شراء المؤونة للبدو الرحل، وإرسالها لهم للبادية كما

كان يتدخل عند المسؤولين من طلبته لتوفير وظيفة لهذا، وتسهيل معاملة إدارية لذاك، وهو في كل ذلك لا يرجو من أحد جزاء ولا شكورا، وإنما همه الوحيد هو مرضاة الله تعالى، وقضاء حوائج بني جلدته، مما يجعل خيالي يطوّح بي بعيدا، فأتمثله وهو يحثّ الخطى في حلّ مشاكل بني جنسه، وقضاء حوائجهم كأن لسان حاله يردد قول أبي العتاهية رحمه الله تعالى [1]:

اقْضِ الحوائجَ ما استطعت ... وكنْ لِهَمِّ أخيك فارِجْ
فلَخيرُ أيام الفتى ... يومٌ قضى فيه الحوائجْ

وقول الحسن بن سهل رحمه الله [2]:

فُرِضت عليّ زكاةُ ما ملكت يدي ... وزكاةُ جاهي أن أعين وأشفعا
فإذا ملكتَ فجُدْ فإن لم تَسْتطعْ ... فاجهَدْ بوسعِك كلّه أن تنفعا

1 - ابن مفلح الحنبلي: الآداب الشرعية. 2 / 178.
2 - نفسه 2 / 176.

وقول الشاعر[1].

لا تَقطعنَّ يدَ الإحسان عن أحدٍ ... ما دمتَ تَقدِر والأيامُ تارات

فاشكُر فضيلةَ صُنع الله إذ جعَلت ... إليك لا لكَ عنْد الناس حاجاتُ

حفظه لأمانات البدو الرّحّل

لقد كان الكثير من البدو الرّحّل يودعون أماناتهم المالية، والعينية عند الطالب الساسي لحين رجوعهم من البادية بعد سنة، أو أكثر، وذلك للثقة الكبرى التي كان يتمتع بها عند هؤلاء، وقد حاول البعض اختباره في ذلك، فتركوا عنده مبلغا ماليا جعلوا على أوراقه النقدية أمارات وعلامات، إذ لم يكن يومها تصوير الأوراق النقدية، والوثائق متوفرا، ومكث هذا المبلغ عنده أزيد من ثلاث سنوات، ثم قدموا لاسترداده، فوجدوه كما هو، لم تمتد إليه يد الطالب الساسي بالتبديل، أو التغيير، أو الاستغلال، فحمدوا له ذلك، وهذا يجعلنا نقول: كيف لا يكون كذلك، وهو الذي يردد في أمسه، ويومه، وغده قول الله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ "[2]، وكذا أمره بأداء الأمانات " إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

---

1 - محمد بن قاسم الأماسي: روض الأخيار. 355.

(2) المؤمنون: 8.

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا "[1].

بل وكان يستشعر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبرزة لقيمة الأمانة في حياة الناس، والمحذّرة من خرمها، والاعتداء على محرابها المقدّس والتي منها قوله صلى الله عليه وسلم: "أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ، فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ. "[2].

وقوله أيضا: " مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّاهَا اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ "[3].

---

(1). النساء: 58.

2 – أحمد: المسند. 2/ 177، برقم: 6652، وصححه الشيخ الألباني: السلسلة الصحيحة، 2 / 370.

3 – أحمد: المسند. 2 / 361، برقم8718، والبخاري: الجامع الصحيح برقم: 2387.

الخاتمة

وتحتوي على أهم النتائج، والتوصيات الآتية:

أولا ــ **النتائج المتوصل إليها**: وهي عديدة منها:

1 ــ تمسك الشعب الجزائري بدينه، ولغته، وقرآنه، وسنة نبيه، وثوابته رغم المحاولات البائسة، واليائسة من قبل الاستدمار الفرنسي للقضاء على هذه الثوابت الأصيلة.

2 ــ هيبة الجانب الديني في نفوس الجزائريين، والخضوع لنهجه المستقيم وسلطانه القويم، وذلك بتوقير أهله، وإجلال ذويه.

3 ــ تضحية الطالب الساسي بالنفس والنفيس خدمة لكتاب الله تعالى تدريسا، وإقراء، وتكفلا بدارسيه، وإنفاقا على طالبيه، وبذلا لمريديه.

4 ــ حدوث الإجماع على التميّز العلمي، والاجتماعي، والاصلاحي لشخصية الطالب الساسي، والتي كانت محلّ ثقة جميع مواطنيه من قريته الصحن الثاني، والقرى المحيطة بها.

5 ــ اعتراف معاصري الطالب الساسي ببذله اللامتناهي، وعطائه اللامحدود لأبناء وطنه، إذ كان مدرسا، وإماما، ووسيطا قضائيا، ومأذونا شرعيا، وموثقا لكتاباتهم العرفية، ومفتيا في قضاياهم الدينية، ومقسما لفرائضهم ومواريثهم، بل ومغسلا لموتاهم، وزائرا لمرضاهم، وشافعا لبعضهم في الحصول على مناصب وأعمال في الأسلاك الوظيفية المختلفة.

6 ـــ تشجيع الطالب الساسي لطلبته على فتح المحاضن والمدارس القرآنية في ربوع مدينة الوادي، وذلك لاستشعاره بقيمة العلم، وبثّ الوعي، بين الساكنة في دحر، وطرد الاستدمار الفرنسي الدخيل، والذي حاول طمس كل الجوانب العلمية، التي تكشف زيفه، وظلمه، مستبدلا إياها بسياسة التجهيل، والتنكيل لإطالة أمد مكثه فوق تراب هذا الوطن الطاهر النبيل.

ثانيا ـــ التوصيات: وهذه أهمها:

1 ـــ ضرورة التعريف بأعلام الجزائر النابهين، ونفض الغبار عن سيرهم العطرة، وأعمالهم الجليلة.

2 ـــ إدراج مادة ضمن منظومتنا التربوية لتعريف الأجيال الصاعدة بمآثر الآباء والأجداد، عساهم يقتدون بصنيعهم، ويسلكون نهجهم في البذل العلمي والإصلاح الاجتماعي، والخدمة المتميزة للوطن وساكنته.

3 ـــ إقامة ملتقيات علمية، وندوات فكرية حول عطاءاتهم العلمية، تخليدا لذكراهم، واعترافا ببذلهم، وتمجيدا لصنائع معروفهم، وتشجيعا لغيرهم على اقتفاء خطاهم الحميدة، وسلوك طرائقهم السديدة.

4 ـــ تسمية بعض المؤسسات الدينية، أو العلمية، بأسمائهم، كالمساجد، والمدارس القرآنية، والمؤسسات التربوية، والجامعية، وذلك من أجل تعريف الخلف برجال السلف.

5 ـــ حث الأغنياء والميسورين من أبناء الوطن البررة على الإسهام في التبرع

الحاتمي لكل ما يخدم العلم، كالتكفل بمصاريف بعض الطلبة الممتازين من أبناء الفقراء داخل الوطن وخارجه، وتحبيس الأوقاف الخاصة ببناء الصروح العلمية، وتمويلها، واختيار أحسن الكفاءات لتأطيرها، يحدوهم في ذلك نشر العلم وبثّه في ربوع هذا الوطن الحبيب، وابتغاء الأجر والمثوبة، في دار القرار.

بعض من طلبة العلامة
الطالب الساسي سلمان

فهرس الموضوعات

الإهداء 05

شكر وعرفان 06

تقريظ العلاّمة الشيخ عبد الكريم بالقط 07

تقريظ الأستاذ الدكتور بوبكر كافي 09

تقريظ الأستاذ الدكتور: إبراهيم رحماني 11

تقريظ الأستاذ الدكتور: كمال قدّة 15

تقريظ الأستاذة الدكتورة: سعاد سطحي 17

شهادات الأحفاد عن الأجداد (تقريظ الحفيد: عبد المجيد سلمان) .. 19

المقدمة 21

السيرة الذاتية للعلامة الطالب الساسي سلمان 25

1 ــ اسمه ونسبه 26

2 ــ مولده 26

3 ــ مكان ولادته 27

4 ــ انتماؤه القبلي 28

5 ــ أسرته 29

6 ــ اشتهار وهيمنة اسمه الساسي ووصفه بالطالب على لقب العائلة 31

7 ــ جهاده ضد الاستدمار الفرنسي 32

8 ـــ اهتمامه الكبير بيوم الجمعة 35
9 ـــ مذهبه الفقهي 36
10 ـــ روايته في الإقراء 38
11 ـــ مصدر رزقه 39
12 ـــ أمنياته 40
13 ـــ بعض أقواله الخالدة 41
14 ـــ كراماته 42
15 ـــ عدم وجوب الزكاة في تموره الوفيرة 45
16 ـــ وفاته 46
السيرة العلمية للعلّامة الطالب الساسي سلمان 49
1 ـــ أبرز أساتذته 51
2 ـــ حب والده الحاج أحمد للقرآن الكريم وأهله 52
3 ـــ مدرسته القرآنية 53
4 ـــ علماء مرموقون لقيهم أو عاصرهم 55
5 ـــ أبرز تلاميذه 57
6 ـــ فراسته الثاقبة 59
7 ـــ مسؤوليات عليا تقلدها بعض تلاميذه 60
8 ـــ حثه لطلبته على فتح المدارس التعليمية بأنحاء الوادي 61

9 ـــ تخيل سمي بأسماء بعض طلبته 62
10 ـــ معرفته باللغة العربية 63
11 ـــ استخدامه للألغاز الفقهية مع طلبته 64
12 ـــ تحضير طلبته لإمامة الناس في صلاة التراويح 64
13 ـــ شأنه مع القرآن الكريم 66
14 ـــ معرفته بعلم الحساب 68
15 ـــ طريقته في ترسيخ العلوم في أذهان طلبته 69
16 ـــ رفضه الهجرة للبقاع المقدسة وتركه لمدرسته وطلبته 70
17 ـــ ألغازه في علوم القرآن 71
18 ـــ تطبيقه للطرق البيداغوجية الحديثة في التدريس 75
19 ـــ إسهامه في محو الأمية 77
20 ـــ تمسكه بمدرسته القرآنية رغم كبر سنه 78
21 ـــ شدته مع أبنائه وطلابه في طلب العلم 79
22 ـــ نماذج لفتاواه الجريئة 81
23 ـــ تأثره لموت العلماء 81
24 ـــ تضلعه في علم الفرائض 83
25 ـــ تشجيعه على قراءة الحزب الراتب جماعة 84
26 ـــ تجسيده للنظام الداخلي ونصف الداخلي في مدرسته 87

27 ـــ تعيينه للأئمة من طلبته في مساجد قرى مدينة الوادي..... 88
28 ـــ تشجيعه على إرسال البعثات الطلابية بالخارج 89
29 ـــ كتب كان الطالب الساسي مولعا بدراستها 90
30 ـــ ولعه بحفظ الأشعار الجزلة 103
السيرة الاجتماعية للطالب الساسي سلمان 107
1 ـــ مقاومته لعادات إجبار البنات على الزواج ممن لا يرغبن فيه 108
2 ـــ مجابهته لتهريب المرأة المراد الزواج منها عند رفض والدها تزويجها 112
3 ـــ مقاومته لعادات حرمان البنات من الميراث 114
4 ـــ عمله كوسيط قضائي متطوع 119
5 ـــ اشتغاله مأذونا شرعيا متطوعا 119
6 ـــ تحرّيه لرؤية هلال رمضان 120
7 ـــ فصله في صيام الأطفال 121
8 ـــ تشجيعه على الوقف على الجهات الخيرية 122
9 ـــ علاقته بالطرق الصوفية 123
10 ـــ ستره لمن ضبطه متلبسا بسرقة تمر نخيله 124
11 ـــ ممارسته وظيفة الطبيب النفسي 126
12 ـــ استصداره الإجازات الخاصة بتأمين الوظائف لطلبته
المتخرجين من مدرسته..... 127

13 ـــ تهيئته لطلابه لاقتحام الدراسة في المعاهد الإسلامية 128
14 ـــ دعوته للبعد عن المعاصي 130
15 ـــ إسهامه في حلّ النزاعات الواقعة في مجتمعه 131
16 ـــ دعوته للمّ الصفوف ونبذ التفرقة 133
17 ـــ مشيه في قضاء حوائج الناس 133
18 ـــ حفظه لأمانات البدو الرّحّل 135
الخاتمة 137
صور لبعض طلبته 140
فهرس الموضوعات 141

طبع هذا الكتاب على نفقة المحسنين

- الحاج الطاهر طالبي (المعروف بالطاهر ذهب) وأولاده .
- المرحوم : بوصبيع العايش بويكر، وأخويه محمد الصالح، وعلي .
- عبد الحميد بن محمد سلمان .